د. عادل فاخوري

تيّارات في السّيمياء

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

هذا الكتاب

السيمياء ، أي العلم الذي يبحث في العلامات ، يشهد اليوم ازدهاراً ، إن على الصعيد النظري وإن على الصعيد التطبيقي . ولاشك أن سعة المجالات التي يتطرق إليها هي التي ادّت إلى الاهتمام المتزايد بهذا العلم من قبل اختصاصات متنوعة كالفلسفة والمنطق واللسانية والانتروبولوجيا والنقد الأدبي والفني الخ ....

يقدم هذا الكتاب عرضاً منهجيّاً للنظريات الرئيسية الشائعة حديثاً ، متقصياً المفاهيم ، ومقترحاً المصطلحات الدقيقة الموافقة ، وذلك بغية تأسيس اللغة السيميائية في الفكر العربي ..

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

لدار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت ـ لبنان
ص.ب . ١١١٨١٣
تلفون : ٣١٤٦٥٩
٣٠٩٤٧٠

الطبعة الأولى
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠

للمؤلف

المنطق الرياضي ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، طبعة رابعة منقحة ، بيروت ، ١٩٨٨ .

الرسالة الرمزية في أصول الفقه ، دار الطليعة ، طبعة ثانية ، بيروت ، ١٩٩٠ .

منطق العرب ، من وجهة نظر المنطق الحديث ، دار الطليعة ، طبعة ثالثة قيد الاعداد .

اللسانية التوليدية والتحويلية ، دار الطليعة ، طبعة ثانية ، بيروت ، ١٩٨٨ .

علم الدلالة عند العرب ، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة ، دار الطليعة، طبعة ثانية قيد الاعداد .

****

فهرس الموضوعات

****

مقدمة

منذ الستينات ومجال علم السيمياء يُظهر نشاطاً متزايداً على كافة الصعد . ففي أكثر من بلد أخذت تتألف جمعيات تُعنى بهذا العلم ، أقدمها الجمعية الدولية للدراسـات السيميائيـة (١٩٦٩) International Association for Semiotic Studies ؛ وبدأت تتوالى المؤتمرات التي تتطرق إلى مختلف النـواحي المتصلة بـالسيمياء بشكـل أو بآخـر . كما صـدرت مجـلّات متعـددة بلغـات مختلفـة متخصصة في هذا النوع من الأبحاث ، منها مجلة الجمعية الدولية المذكورة Semiotica ومجلة Semiosis الألمانية وVersus الإيطالية و Degrés البلجيكية و Studia Semiotyczne البولونية و Kodikas اليونانيـة الخ .... فضـلاً عن الكتب والمراجـع التي وُضعت بهذا الخصوص .

لا ريب أن من الدوافع التي دعت إلى تعاظم الاهتمام بالسيمياء هو تشعب الموضوعات التي يتناولها هذا العلم . فباستثناء قلة نادرة من البـاحثين الذين يقصـرون مجالـه على الألفاظ ، مثـل كلاوس G.Klaus ، ثمة شبه إجماع على أن سائر العلامات غير اللفظية هي كـذلك من مـوضوعـاته الأسـاسية . وهنـاك عدد غير يسيـر من السيميائيين كموريس Ch. Morris وسيبيوك Th. Sebeok يُدرج أيضاً

العلامات التي يستعملها الحيوان تحت هذا العلم . بل إن البعض يذهب أبعد من ذلك في توسيعه لمجال السيمياء ، ليشمل الاتصال ما بين الخلايا الحية (Bionique) وحتى الاتصال ما بين الآلات (Cybernétique).

ايكو U. Eco مثلاً يعرض ، من الأبواب التي تدخل تحت هذا المجال التفصيل الآتي : علامات الحيوانات ، علامات الشم ، الاتصال بواسطة اللمس ، كودة المذاق ، الاتصال البصري ، أنماط الأصوات والتنغيم Intonation ، التشخيص الطبي ، حركات وأوضاع الجسد ، الموسيقى ، اللغات الصورية ، اللغات المكتوبة ، الأبجديات المجهولة ، قواعد الآداب ، الايديولوجيات ، الموضوعات الجمالية والبلاغة.

إن الاقبال على السيمياء هو نتيجة حاجة الفروع المذكورة لأدوات قادرة على وصف وتفسير يتمتعان بدرجة رفيعة من الدقة . في الواقع ، تصلح السيمياء حالياً لأن تكون وسيلة فعالة لاستقصاء أنماط متنوعة من عمليات الاتصال والتبليغ ، إذ أنها أصبحت تمتلك عُدّة من المفاهيم المجردة ، تتيح لها استيعاب ما هو مشترك بين كثير من هذه العمليات.

لكن ، بالرغم من هذا الازدهار وبالرغم من تشعب فروع الدراسة ، لا يمكن بعد اعتبار السيمياء نسقاً نظرياً متكاملاً وجاهزاً ، بل ليس هناك سوى طروحات متفاوتة من حيث المنهجية والشمول.

إن المحاولات ، التي يمكن أن تُحسب على مجال السيمياء ، يعود الفضل فيها أساساً لتيارين رئيسيين . فمن جهة ، ساهمت الفلسفة منذ نشأتها مع أفلاطون وأرسطو والرواقيين ، مروراً بفلاسفة العرب والقرون الوسطى والفلاسفة الحديثين أمثال لوك ولايبنتز و وولف ولامبرت وهيجل ، وصولاً إلى فريجه وبيرس

وهوسرل وفتغنشتاين وموريس في إرساء التفكير حول مفهوم الدلالة وأقسامها ، وذلك بغرض تحديد دور العلامات وخصوصاً دور اللغة في المعرفة . ومن جهة أخرى كان للسانية الأوروبية المعاصرة ، خصوصاً بفضل مؤسسها دو سوسير وبفضل أعمال ياكبسون و تروبتزكوي Trubetzkoy وهيلمسلاف Hjelmslev ، التأثير الكبير في فتح الآفاق أمام الأبحاث السيميائية العلمية المتنوعة . وكان جل هم هذا التيار تطبيق الطرق والمبادىء التي أوجدتها اللسانية على مجالات أخرى من الثقافة ، وبالأخص على الآداب وعلم الإناسة (الأنثروبولوجيا) والفيلم والفن التشكيلي والهندسة والموسيقى والأزياء والملصقات الخ ...

منذ الستينات ، بدأ التفاعل بين التيار الفلسفي والتيار اللساني ، مما أدى إلى بعض الطروحات التي تسعى إلى التوفيق بين الرؤيتين ، ثمة محاولة مهمة قام بها أستاذ اللسانية في برلين يورغن ترابانت Jürgen Trabant تتوخى إعادة بناء السيمياء على مفهوم مغاير للتعريفات السابقة ، هو مفهوم الفعل . وقد اعتمد لذلك على نظرية الأفعال الكلامية Speech act theory التي يأخذ بها فلاسفة اللغة الطبيعية Ordinary language philosophy ، وخصوصاً على تصنيف سورل J. Searle ، بالإضافة إلى بعض المذاهب المتوافقة معها كنظرية المقدرة الإبلاغية Theorie der kommunikativen kompetenz لهابرماس Habermas وبنائية Konstruktivismus مدرسة إرلنغن.

من هنا وقع اختيار كتابنا هذا على المواد الآتية . فبعد نظرة شاملة (في الفصل I) لمختلف مفاهيم العلامة وأقسامها ، وذلك بغية تقريب القارىء لمصطلحات هذا العلم الجديد . يشرع الفصل الثاني في عرض مفصل للموضوعات السيميائية التي شاعت في اللسانية الأوروبية ، لما تتصف به من الوضوح والسهولة بوجه عام .

وفي الفصـل الثـالث ، يجـري تقصي البحث في السيميـاء عنـد الفيلسوف الأميركي پيـرس Peirce ، إذ أنها تشكـل أغنى وأعمق طرح فلسفي في هذا المجال . أما الفصل الثالث ، فقـد أفردنـاه لنظـرية مـورس Ch. Morris ، لأنها تقيم ، ضمن التيـار المنطقي الفلسفي ، تأسيساً جديداً ، معتمداً على المذهب السلوكي . وفي الفصل الأخير ، عرضٌ لمحاولة ترابانت Trabant التي تتطرق إلى السيمياء من منظور نقدي للتيارات السالفة .

****

I
نظرة شاملة

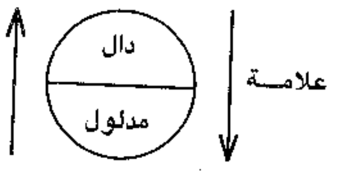
إن محاولة تأسيس نظرية موحدة شاملة للعلامات لم تقم إلا في أوائل القرن العشرين على يد الفيلسوف الأميركي بيرس Peirce من جهة ، والعالم الألسني السويسري دو سوسير De Saussure من جهة أخرى . لكن يمكن العثور على بعض التعريفات والتصْنيفات في هذا المجال عند الفلاسفة والمناطقة والنحاة منذ نشأة الفكر اليوناني . ولعل نظرية الدلالة ، كما ترد في كتب المتأخرين من المناطقة والنحاة العرب ، هي العرض الأكمل لعلم السيمياء Semiotics, Sémiologie عند القدماء .

١ ـ تعريف العلامة

جرى العرف على استعمال كلمة «Signe» أي علامة بمعنى الدال ، ففي اللغة يقال مثلاً أن لفظة « انسان » هي علامة تدل على الانسان . خلافاً لهذا المفهوم الشائع ، يحدد دو سوسير العلامة Signe بأنها المركب من الدال والمدلول(١) ، بحيث أنه يستحيل تصور العلامة دون تحقق الطرفين ، بل ان كل تغيّر يعتري الدال

(١) De Saussure, F. Cours de linguistique générale, p.99.

يعتري المدلول ، والعكس بالعكس . فَمَثَل العلامة كما يقول الألسني السويسري[١] ، مَثَلُ الورقة التي لا يمكن قطع احدى صفحتيها دون قطع الأخرى . هذا التركيب الثنائي الطرفين للعلامة يصوره دو سوسير على الشكل الآتي :



أما العلامة اللغوية[٢] Le Signe Linguistique ، فهي ارتباط بين الصورة الصوتية Image acoustique والمفهوم الذهني ، وبالتالي ، عكس ما يتبادر إلى الخاطر ، فالدال اللغوي ، أي الصورة الصوتية ، هو على غرار المدلول أي المفهوم الذهني ، ذو طبيعة مجردة . فكلمة « انسان » مثلاً يمكنُ التلفظ بها مرات لا تحصى ، وبطرق صوتية مختلفة ، كما أنه يمكن كتابتها بخطوط متنوعة ، بخط كوفي أو فارسي أو تجاري الخ ... ، لكن كلمة « انسان » تبقى واحدة.

من وجهة نظر دو سوسير ، لا علاقة مباشرة للغة بالأشياء الخارجية ، فالمدلول هو صورة ذهنية تنتمي الى العلامة اللغوية ، وليس الى الشيء الواقعي Chose réelle الموجود خارج اللغة. هذه هي وجهة النظر التي أخذ بها البلاغيون العرب ، فيحيى بن حمزة يشرح ذلك بالتفصيل فيقول :

« الحقيقة في وضع الألفاظ إنما هو للدلالة على المعاني الذهنية

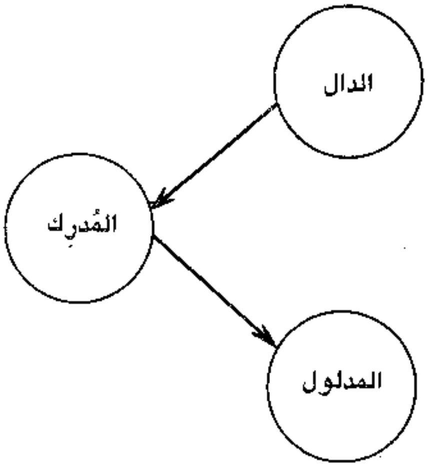
---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٥٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه ، ص ٩٨ .

دون الموجودات الخارجية . والبرهان على ما قلناه هو انا إذا رأينا شبحاً من بعيد وظنناه حجراً ، سميناه بهذا الاسم ، فاذا دنونا منه وظننا كونه شجراً ، فإنا نسميه بذلك ، فإذا ازداد التحقيق بكونه طائراً ، سميناه بذلك ، فإذا حصل التحقيق بكونه رجلاً سميناه به . فلا تزال الألقاب تختلف عليه باعتبار ما يُفهم منه من الصور الذهنية . فدل ذلك على أن اطلاق الألفاظ انما يكون باعتبار ما يحصل في الذهن . ولهذا فإنه يختلف باختلافه »[١].

أما مناطقة العرب ، فإنهم يأخذون الدلالة بوجه اعم مما حدده دو سوسير للعلامة ، وذلك دون تخصيص لطبيعة المدلول . كما أنهم يدخلون الشخص المُدْرِك في اعتبارهم بصورة اكثر صراحة . فعندهم أن الدلالة هي « كَون الشيء بحالة ، يلزم من العلم به العلم بشيء آخر »[٢].



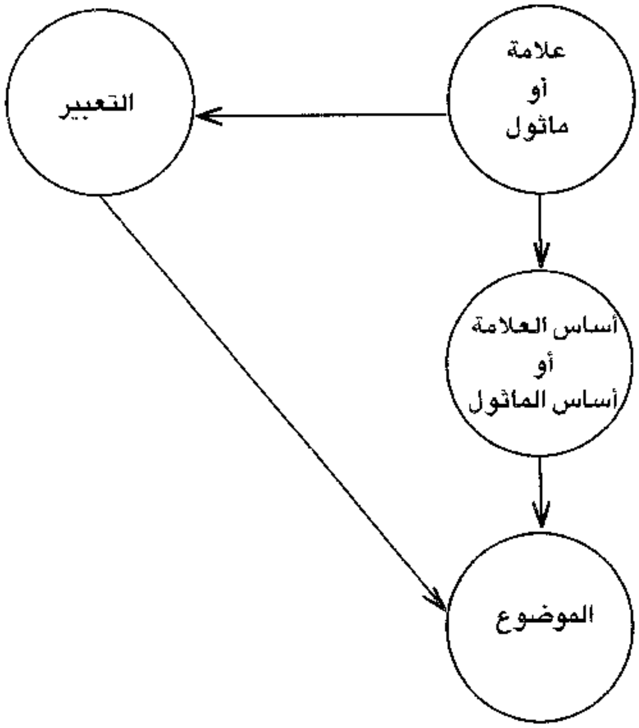
(١) كتاب الطراز ، الجزء الأول ، ص ٣٦ .
(٢) التحتاني ، شرح الشمسية ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

أو بتفصيل اكثر ، كما نستخلص من شرح الأنصاري[١] ، فالدلالة تقوم على علاقة مزدوجة : من جهة بين الدال والمدلول ، ومن جهة أخرى بين هذين معاً وبين المدرك .

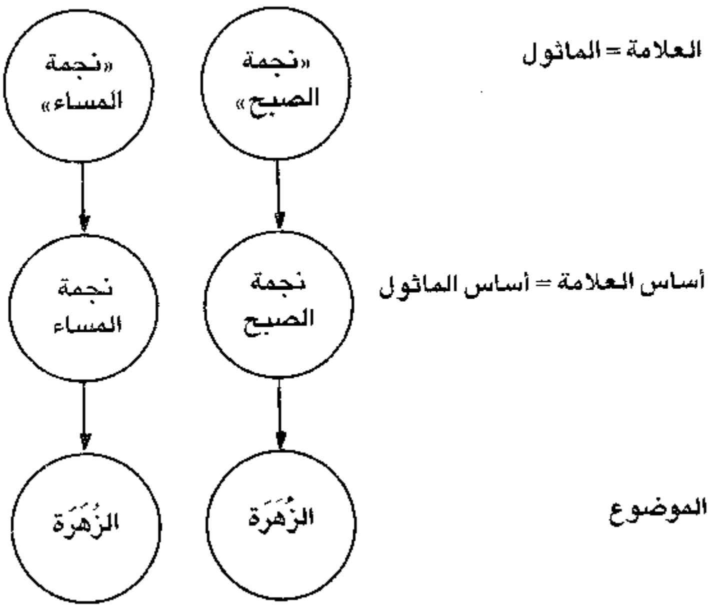
هذا التركيب الثلاثي للدلالة هو الـذي ينطلق منه الفيلسـوف الأميركي بيرس . فلكي يستخرج ويعيّن بصورة مفصلة ، المقوِّمات التي تشكل العلامة ، يُعرِّف العـلامة Sign ، أو مـا يسميه أيضـاً «Representamen» أي « الماثول » و « المُسْتحضِر »[٢] ، بأنهـا الشيء الذي يقوم لشخص ما مقام شيء آخر ، من حيثية ما[٣] . وبالتالي ، كما يشرح المؤلف ، فالعلامة ، من جهة كـونها تتـوجه لشخص ما ، تُولِّـد في ذهنه عـلامة أو صـورة مساويـة للعلامـة الأخرى ، أو ربما أكثر تطوراً منها . هذه العلامة الذهنية يطلق عليها بيرس اسم « التعبير » Interpretant ، ثم إن العلامة تقـوم لشـيء ما، هو موضوعها Object، ليس من كل الحيثيات، انما بالنسبة الى فكرة أو معنى Idea ، يسميه بيرس « أساس الماثول » أو « أساس المستحضِـر »[٤] The ground of the representamen . هذا مـا يمكن أن نوجزه في الرسم البياني الآتي :

---

(١) شرح ايساغوجي ، ص ١١ .
(٢) لان العلامة تمثل الشيء وتستحضره .
(٣) Philosophical Writings of Peirce, p.99.
(٤) الصفحة نفسها .



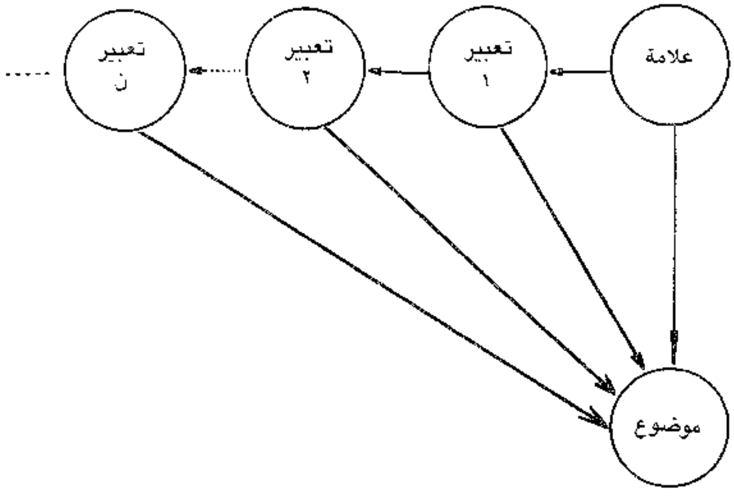
فهكذا مثلاً ، كلمة « ناطق » هي علامة ترجع الى الموضوع : الانسان ، ولكن من معنى مختلف عما تقصده الكلمة « ضحاك » التي ترجع الى الموضوع ذاته . فالناطقية تشكل هنا أساس العلامة ، أما التعبير عن العلامة « ناطق » ، فهو ما تبعثه العلامة من الصور التي يتعيّن بها الموضوع . كذلك يمكن تطبيق المَثَل ، الذي أورده فريجه Frege ، على الفصل ما بين أساس العلامة والموضوع . فنجمة الصبح ونجمة المساء يدلان على معنى مختلف لموضوع خارجي واحد هو الزُهرة .



لا شك أن الموضوع لا يمكن أن يستنفذه تعبير واحد interpretant ، بل إن كل تعبير يستدعي بدوره تعبيراً آخر يوضح الموضوع . لذلك يضيف بيرس ، في اعادته لتعريف العلامة بأنها « شيء يُسْنَد ، من حيثية ما ، الى علامة اخرى ، هي موضوعه ، بصورة تجعله يربط بهذا الموضوع شيئاً ثالثاً هو التعبير interpretant عنه ، وهذا بدوره يربط بهذا الموضوع شيئاً رابعاً ، وهكذا إلى ما لانهاية له »[1] . هذا التعريف يمكن تمثيله على الشكل الآتي :

---

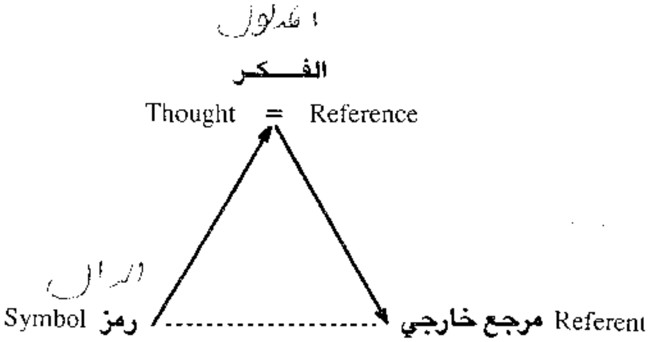
(١) Collected Papers, vol. II, Elements of logic, p.51.



من الصعب إيجاد تطابق تام بين التمييزات التي يقترحها بيرس ومثلث رتشارد ـ أجدن Richard-Ogden ، بالرغم من تأثرهما به . فالمؤلفان يُدخلان في الاعتبار بصورة مباشرة الشخص الذي يفسر الرمز ، ولذلك فالعلاقة بين الرمز والموضوع تتم عبر التفسير interpretation الذي يعطيه الشخص للرمز ، أي عبر ما يسمى عادة بالمعنى meaning . وبالتالي فالعلاقة الدلالية هي علاقة ثلاثية بين الرمز symbol وبين الفكر thought ، أو أيضاً ما يطلق عليه المؤلفان اسم الـ reference أي القصد (١) ، وبين المرجع الخارجي referent ، وفقاً لهذا المثلث :

---

(١) لاحظ أن في اللغة العربية: عَنَى هو قَصَدَ ، والمعنى هو الصورة المقصودة قصداً .



استناداً إلى بيرس من جهة ، وإلى رتشارد وأُجدن من جهة أخرى ، يميز موريس Charles W.Morris في كل عملية دلالة semiosis العوامل الآتية(١) : حامل العلامة sign vehicle أي الشيء المادي الذي تتجسد فيه العلامة ، والمُعَبِّر interpreter أي المدرك ، والتعبير interpretant ، والحيثية المقصودة designatum أو أيضاً المعنى significatum ، والمدلول الخارجي الموافق له denotatum . إن مصطلح التعبير interpretant ، الذي نقله موريس عن بيرس ، يقابل بالمفهوم الأرسطي الفكرة أو التصور . لكن موريس ، معتمداً على سابقيه من الفلاسفة البرغماتيين ، ومستعيناً بالمذهب السلوكي في علم النفس ، يعطي لعملية الدلالة معنى مغايراً للمفهوم القديم(٢). فالمعبِّر هو الجهاز العضوي organisme أما التعبير فهو تهيُّؤ disposition تثيره العلامة في الجهاز العضوي ، لأن يصدر عنه رد فعل ما عند حضور الموضوع المدلول . وعلى وجه التدقيق ، فشيء ما أ هو علامة « إذا كان أ ، عند غياب الموضوع المثير الذي يبعث على متتابعات من الاستجابات من نمط سلوكي

---

(١) راجع : Foundations of the theory of signs, pp.3-5.
وأيضاً Signs, language and behavior
(٢) راجع Foundations of the theory of signs, pp. 31-32.

معين ، مثيراً تحضيرياً يوَلِّد في جهاز عضوي ما تهيؤاً لأن يردّ ، عند توفر شروط معينة ، بمتتابعات من الاستجابات من النمط نفسه »(١). ففي مَثَل الكلب الذي تُقدَّم له قطعة لحم بعد رن الجرس ، تكون العلامة هي صوت الجرس والمُعبِّر هو الكلب ، والتعبير هو تهيُّؤ الكلب لأن ينفعل بسلوك معين أمام الطعام ، والمدلول الخارجي denotatum هو قطعة اللحم ، والحيثية المقصودة significatum هي كون قطعة اللحم مأكولاً معيّناً.

إن تحديد موريس للتعبير على أنه تهيُّؤ للاستجابة ، يحل الاشكالات الناجمة عن النظريات التي تعتبر أن المعنى هو الاستجابة المباشرة . فاذا كان المعنى ، كما يظن بلومفيلد Bloomfield ، هو السلوك الذي يتبع علامة ما ، فكيف يمكن تفسير أن جملة « تمطر السماء » مثلاً تثير ، بحسب الظروف ، إما الهرولة نحو ملجأ ، أو فتح مظلة ، أو ارتداء معطف أو لا شيء البتة . فهل هذا يعني أن جملة « تمطر السماء » تفيد معاني متعددة ؟ بالطبع لا . لذلك يعتبر موريس الجملة ، أو بوجه عام ، العلامة على أنها مثير تحضيري preparatory stimulus يؤثر في السلوك الذي تستدعيه المثيرات الأخرى ، أي أنها تؤثر في الاستجابة التي يقوم بها الجهاز العضوي أمام مثير آخر . فهكذا مثلاً ، بالرغم من أن إشارة السير التي تدل على أن المدينة المقصودة تقع عن شمال المفرق القادم ، الا أنها لا تستدعي عند سائق السيارة رد فعل مباشر ، بل تشكل مثيراً تحضيرياً ، لأنها تؤثر في السلوك الذي تستدعيه عند السائق رؤية المفترق *.

نستطيع من كل ما سبق أن نستخلص ونحدد ما يلي :

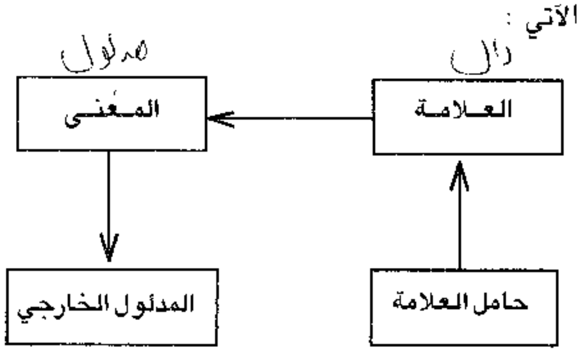
- في كل عملية دلالة ، وبالاصطلاح في كل تسويم semiosis ،

---

(١) Signs, language, and behavior, p.10.

علاوة على الفرد الذي يستعمل العلامات نريد من جهة الدال ، التمييز بين ما يسمي « حامل العلامة » ,sign vehicle, Zeichenträger أو أيضاً عيّنه العلامة Zeichenexemplar ، وشكل العلامة Zeichengestalt أو بالاختصار العلامة Signe, Zeichen . اذ ، بينما حامل العلامة هو عينٌ مادي ، فالعلامة ، أي الدال signifiant بلغة دو سوسير ، هي صورة مجردة ، وبقول ماصدقي هي مجموعة كل حاملات العلامة أي مجموعة كل النماذج الحسية التي تجسد العلامة . ومن جهة المدلول ، نريد أن نأخذ بعين الاعتبار الصورة الذهنية المقصودة قصداً ، أي المعنى ، والشيء الخارجي الذي يرجع اليه المعنى ، أي المرجع أو المرجوع إليه.

تجدر الاشارة الى أن هذه العوامل الدلالية ليست كذلك بحد ذاتها بل من جهة إضافة بعضها إلى بعض . فحامل العلامة لا يكتسب مفهومه الا لكونه يُوصل الى العلامة . وشيء ما لا يشكل علامة إلا من حيث كونه دالاً على شيء آخر بالنسبة لفرد ما . فيما يتصل بالحدود الأربعة التي أتينا على ذكرها تنعقد العلاقات على الوجه الآتي :



تبعاً للعوامل التي تدخل في تركيب عملية الدلالة ، والعلاقات القائمة ما بينها ، ينتزع مورس ثلاثة أبعاد أو مستويات :

علم المبنى Syntactics ، وهو يبحث في العلاقة « عا » بين العلامات « م، مَ» ذاتها : **عا** (م ، مَ) . يُصنّف العلامات وفقاً لخصائص معينة ، ويضع القواعد التي يتم بها تركيب العلامات وتحويلها . ففي اللغة العربية مثلاً ، يتكون هذا العلم من الصرف والنحو.

علم الدلالة Semantics ، وهو يدرس العلاقة ما بين العلامات « م » ومدلولاتها « د » : **عا** (م ، د) . فبما أن المدلول قد يعتبر من حيث كونه صورة ذهنية ، ومن حيث كونه الشيء الخارجي الموافق لهذه الصورة يجب تفريع هذا المستوى العام الى علمين[١] :

علم المعاني ، وهو بالتالي يبحث في العلاقة بين العلامات « م » وبين المعاني « ن » : **عا** (م ، ن) .

وعلم الدلالة الخارجية Sigmatics ، وهو يتناول العلاقة بين العلامات « م » والأشياء الخارجية « خ » . لكن بما أن دلالة العلامات على الأشياء الخارجية لا تتم الا عبر المعاني ، فهذه الدلالة تشكل علاقة ثلاثية : **عا** (م ، ن ، خ) .

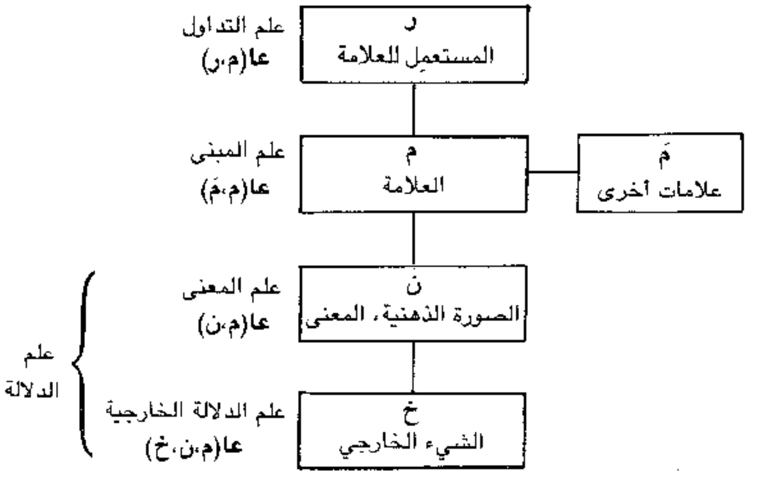
أخيراً ، فالمستوى الذي يبحث في العلاقة عا (م ، ر) بين العلامات والمعبرين « ر » ، أي الأفراد الذين يستعملون العلامات لغرض الاتصال ، يسمى بعلم التداول Pragmatics . وبوجه عام ، يتناول هذا العلم ، كما يقول مورس ، « أصل العلامات واستعمالها والمفعول المترتب عنها »[٢] .

هذه التعريفات يجملها الجدول الآتي :

---

(١) راجع : Klaus. G Semiotik and Enkenntnistheorie, S. 67-77.

(٢) Morris, Signs, language and behavior, p. 352.



ثمة إشكال حول المعنى عند بيرس وموريس ، يمكن الآن توضيحه على ضوء الشروح التي أتينا على ذكرها . فقد يبدو أن هناك عاملين من عوامل عملية الدلالة يوافقان « المعنى » بالاستعمال المتعارف : فمن جانب ما يسميه بيرس « أساس الماثول » The ground of the representamen وما يسميه موريس Significatum أي الحيثية المقصودة أو أيضاً ما يصح ترجمته كذلك بالمعنى-. ومن جانب آخر ما يطلق عليه المؤلفان اسم « التعبير » interpretant الذي يقابله موريس ، كما سبقت الإشارة الى ذلك ، بالفكر Thought أو التصور Concept عند أرسطو . فالعامل الأول هو الذي يقع تحت باب علم المعنى الذي تواضعنا عليه ، أما الثاني أي التعبير ، فيدرجه موريس تحت علم التداول لأنه رد الفعل الناجم عن المُعبِّر عند ادراكه المعنى Significatum، ولا شك أن كون الاثنين متضايفين، هو سبب الاشكال . وخلافاً لما يوحيه قول موريس ، كان التمييز ما بين المعنى والتعبير معروفاً عند القدماء لكن بتعابير مثالية بعيدة كل

البعد عن مفهومه السلوكي . فما يسمونه بالكلي العقلي ليس سوى فعل التصور الحاصل في الذهن ، ويقابله الكلي الطبيعي أي الأساس الموضوعي الذي يتناوله فعلُ التصور .

٢ ـ أقسام العلامة

إن أول تقسيم شامل للعلامة في إطار علم دلالي مستقل ، هو من عمل المتأخرين من مفكري العرب . ولا شك أن الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة المسلمين قد استوحوا هذا التقسيم من أفلاطون وأرسطو والفلاسفة الميغاريين والرواقيين. وكان يَرد عندهم بمثابة مقدمة عامة للمنطق ، وينحصر في الدلالة اللفظيَة فقط . إلا أن المناطقة في القرن الثالث عشر استفادوا ، بالاضافة إلى تمييزات الفلاسفة السابقين ، من أبحاث اللغويين والأصوليين وعلماء الكلام ، فتوصلوا إلى تعميم الأقسام على كل أنواع الدال.

يقسم المفكرون العرب الدلالة إلى ثلاثة أقسام : العقلية والوضعية والطبيعية . فالدلالة العقلية عندهم هي التي يكون فيها بين الدال والمدلول علاقة ذاتية . ويفهمون بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال تحققَ المدلول ؛ كما في العلاقة الحاصلة بين المعلول والعلة ، ومثالها كون الدخان علامة على النار ، أو العكس : مثل كون النار علامة على الحرارة ؛ أو أيضاً في العلاقة القائمة بين معلولين لعلة واحدة ، مثل كون الدخان علامة على الحرارة إذ كلاهما معلول للنار .

أما الدلالة الطبيعية فهي ، وفقاً لتعريفهم ، ما يكون بحسب مقتضى الطبع . ويستفاد من شروحاتهم أن الطبع قد يرجع إلى المدرك ، ويكون بالتالي معنى هذه الدلالة أنّ من طبع المدرك أن ينتقلَ تلقائياً من الدال إلى المدلول ؛ أو أنّ صفة « الطبيعية » قد ترجع إلى الدال ، فيكون من طبيعة الدال أن يؤدي الى المدلول .

لكن بالرغم من هذه الشروحات الشاملة ، فإنهم يقصرون أمثلتهم في هذا المجال على العوارض البدنية الدالة على حالات بدنية أخرى أو على حالات نفسية ، كدلالة « أُحْ أحْ » على السعال والحمرة على الخجل وقوة حركة النبض على قوة المزاج.

بمجرد المقارنة بين أمثلة هذا القسم من الدلالة وأمثلة الدلالة العقلية ، يبدو أن التمييز بين القسمين المذكورين لا يرتكز على أساس ، إذ أن العلاقة الطبيعية تعود بالنهاية إلى علاقة ما بين أثر ومؤثر وبين معلول وعلة : وهذا دون شك صحيح إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار سوى مقياس العلية البحتة. لكن، مع اختلاف وجهات النظر الفلسفية التي تُتَناول بها العلاقة في كلتا الحالتين ، لا يمكن انكار أن الدلالة الطبيعية ، لكونها تعتمد على تجربة باطنية ذاتية ، وخصوصاً في العلاقة بين الجسد والنفس ، لا تستدعي على الأقل العمل الفكري المطلوب في الدلالة العقلية المعتمدة على الادراك الخارجي ، بل كأنما الانتقال من الدال إلى المدلول يحصل بصورة عفوية مباشرة.

أما القسم الأخير أي الدلالة الوضعية فهي تلك التي يحصل فيها الانتقال من الدال إلى المدلول ، لا لعلاقة علية بين الاثنين ولا لطبيعة الدال ، بل بسبب قاعدة متفق عليها ، سيان كانت هذه القاعدة الدلالية من وضع الفرد أو من وضع الجماعة . من هذا القبيل دلالة الألفاظ على المعاني.

إن تحقق علاقة ما من العلاقات الثلاث بين الدال والمدلول لا ينفي تحقق إحدى العلاقتين الباقيتين ، بل بحسب التعريفات المذكورة ، تستلزم كل علاقة طبيعية علاقة عقلية ، لأن إحداث الطبيعة عروضَ الدال عند عروض المدلول انما يكون علاقة للدلالة الطبيعية ، باعتبار استلزام تحققِ الدال تحققَ المدلول على وجه مخصوص . وقد تجتمع الدلالات الثلاث باعتبار العلاقات الثلاث ،

كما في لفظة « أخْ » للسعال.

بالرغم مما في هذا التقسيم من إبهام وخلل ، إلا أنه بوجه عام يقترب من التقسيم المعمول به حديثاً في علم السيمياء ، والذي وضعه بيرس Peirce بالنسبة إلى علاقة العلامة بموضوعها . فعلى هذا الصعيد يميز بيرس كذلك بين ثلاثة أنواع من العلامات : الأيقونة icon والدليل أو الشاهد index والرمز symbol.

تقوم الايقونة على شَبَهٍ فعلي بينها وبين مدلولها ، من كل الجهات أو بعضها . فالصور الفوتوغرافية والرسوم والخرائط الجغرافية هي أمثال هذا الصنف من العلامة . وكذلك قد توجد الدلالة الايقونية في الألفاظ ، فلفظ « كيكي كيكي » مثلاً في اللغة العربية تقليد لصياح الديك . لكن على المستوى اللفظي ، لا تتحقق هذه الدلالة بتطابق كلي بل جزئي فقط ، يشهد على ذلك اختلاف الدالات باختلاف اللغات. فمع أنه يوجد شبه بين الألفاظ «كيكي كيكي » بالعربية و «cuckoo» بالإنكليزية و «cocorico» بالفرنسية و «Kikeriki» بالألمانية ، هناك غير فارق في الرسم الصوتي لصياح الديك . قد يمتد مجال المقارنة في الألفاظ المحاكية للمدلولات الخارجية بين لغات متنوعة من شَبَه تام تقريباً كما بين لفظتي « شنخر » العربية و «schnachern» الألمانية ، إلى الاختلاف الكلي كما بين كلمة « عواء » والمرادف الفرنسي لها «aboiement» . ويعود ذلك إلى أن التصوير بالكلمات مقيّد في كل لغة بلائحة الأصوات وطريقة مزجها . فاللغات الطبيعية لا تستعمل كل الأصوات اللفظية ولا تجيز كل التقاليب الممكنة ، بل تنفرد كل لغة بعدد معين من تلك الأصوات وبقواعد محددة لتركيب الكلمات منها . وهذا التركيب ، بالاضافة إلى أنه يحدد امكانية المزج بين الحروف ، يجَري بتسلسل زماني واحد يأبى التعدد الصوتي الواقع أحياناً في المدلولات الخارجية.

بالطبع ، في بعض الأنواع الايقونية قد تقترب العلامة كثيراً من مـدلولهـا ، كما في النحت والـرسم الـخ ... ، لكن حتى في هـذا المجال ، لا تتحرر الدلالة تماماً من شروط الإدراك الحسي ، ومن كودة[١] code الإيصال المعمول بها . فهكذا مثلاً ، مازال يُستعمل في التصوير منذ عصر النهضة ، التدرج في الأحجام للدلالة على العمق ، بينما في القرون الوسطى ، فإن هذا التدرج يشير إلى مكانة الشخص المُمَثَّل : فبقدر ما كان رسم الشخص كبيراً كانت مكانته رفيعة . كذلك كان الفنان في عصر النهضـة يرسم الصفـات التي يراها ، أما الفنان التكعيبي فيضـع الصفات الحاضرة في ذهنه عن الشيء ، حتى وإن استحالت رؤيتها معاً من زاوية بصرية معينة[٢].

ضمن مفهوم الايقونـة يذكر بيرس ثـلاثة أصنـاف : الصورة image وهي تشارك المدلول بالصفات البسيطة ، والتمثيل البياني diagram الـذي يشبهه بـالترتيب العـلائقي ، وأخيـراً الاستعـارة metaphor.

أما القسم الثاني من أقسام العلامة أي الشاهد أو الدليـل ($\sigma\eta\mu\alpha$ ، انكليـزي index ، فـرنسي indice) فبيـرس يعـرفـه « بالاتصال الدينامي (وضمنه المكاني) مع الموضوع العيني من جهة ، ومع حواس أو ذاكرة الشخص.. من جهة أخرى»[٣] . وهو يأخذ الشاهد بمعنى عام جداً يشمل كل عـلامة تقـوم بينها وبين موضوعها مجاورة فعلية واقعية . هذه المجاورة قد تمتد من العلية إلى مجرد الاتفاق ، فهكذا مثلاً الدخان شاهد على النار والصراخ

---

(١) بإزاء الكلمات الفرنجية codification, codifier, code نصطلح على التوالي امـا بالعبارات : كُودة ، كَوَّد ، تكويد ، وإما أيضاً بـ : دُستور ، دَسْتَر ، دسترة .

(٢) أنظر : Eco. U.La Struttura assente, p. 207.

(٣) أنظر : Philosophical Writings, p 107.

دليل على الوجع والتصبيغ شاهد على الشيء المصبغ عليه وكذلك أسماء الاشارة « هذا ، هذه ، الخ ... » .

تحت هذا المفهوم العـام يندرج كثيـر من أصناف العـلامات الشائعة في بعض اللغات ، منها :

ما يسمى بالفرنسية index[1] ، وما يمكن أن نطلق عليه بالعربية اسم « القرينة » . فالقرينة تنحصر في العلامات التي بينهـا وبين مدلولاتها مجرد جوار أو تلاصق .

العارض symptôme ، وهو علامة مَـرَضية تـرتبط بمدلـولها ارتباطاً طبيعياً .

الاشارة signal ، وهي تتميز بقصدية الايصال ، مثل أضـواء السير وصفارة انطلاق السبق الخ...

القسـم الأخيـر من ثلاثيـة بيرس يسـمى « الـرمز » symbol . ويقـوم الرمـز ، كما في تفسيـر يـاكبسن[2] لِنظـريـة الفيلسـوف الأميركي ، على المجاورة المتواضع عليها contiguité instituée بينه وبين المدلول ، والمكتسبة بالتعلم . لذلك لا يحصل الرمز إلا بقاعدة تحدد علاقة المجاورة ، وهو لا يستلزم أدنى شبه أو علّية أو اتصال خارجي مع المدلول . من هذا القبيل العلامات اللغوية.

بالطبع ، إن تعريف الرمز بهذا الشكل يخرج عن الاستعمال المتعارف عليه في الآداب والفنون ، لكن بيرس يبرر هذا الخروج بالعودة إلى المعنى الأصلي لكلمة symbol . ففي اليونانية كـانت $\sigma\acute{\upsilon}\mu\beta o\lambda o\nu$ تعني الشيء الذي يُلقى أو يُرمى مـع $\sigma\acute{\upsilon}\mu$ ، $\beta o\lambda o\nu$ وبالتالي كانت تعني عن طريق الاستعارة الـعقد أو الاتفـاق . بهذا المعنى كان أرسطو يقول عن الاسم أنه رمز $\sigma\acute{\upsilon}\mu\beta o\lambda o\nu$ أي علامة

---

(١) لا يوجد في الانكليزية مقابل index و indice الفرنسيتين سوى كلمة واحدة هي index.

(٢) أنظر : Problèmes du langage, p.27.

وضعية . أما الرمز بالمفهوم الشائع ، فيجب إدراجه عند بيرس تحت قسم الايقونة ، إذ أنه يفترض شبهاً ما بينه وبين المدلول.

إن نظرة سريعة على كل من التقسيمين للعلامة عند العرب وبيرس قد توحي بهذه المقارنة :

دلالة طبيعية	دلالة عقلية	دلالة وضعية
إيقونة	شاهد	رمز

لكن استقصاء البحث في كل من التعريفات والأمثلة الواردة في النظريتين ينفي التطابق المقترح . فمن بعض التفسيرات ، التي مررنا عليها ، للدلالة الطبيعية ، يمكن الوقوع على تلاؤم بينها وبين الأيقونة ، انما الأمثلة التي يوردها المؤلفون العرب في مجال الدلالة الطبيعية كالعوارض والامارات الدالة على الحالة النفسية ، تنتمي عند بيرس ، في الدرجة الأولى ، إلى الشاهد index . كما أن الدلالة العقلية أخص من الشاهد ، إذ أنها تنحصر في علاقة السببية ، بينما الشاهد يعم كثيراً من العلاقات التي يعدها العرب من باب الدلالة الوضعية.

لاشك أن إمكانية تداخل هذه الأقسام في علامة واحدة وعدم غلبة أحدها على الآخَرَيْن أحياناً هما من أسباب تصنيف بعض العلامات إلى قسمين مختلفين عند العرب وعند بيرس ، لكن مع ذلك ، تبقى النظريتان مختلفتين من حيث الكنه .

****

II

التيار اللساني

- إلى جانب بيرس Peirce ، يُعتبر دو سوسير De Saussure من مؤسسي علم السيمياء . ففي مجموعته التي طُبعت نقلاً عن طلابه باسم « محاضرات في اللسانية العامة » ، كان غرضه ، كما هو معروف ، البحث في علم اللسانية على أسس بنيوية ، ولم يكن يهدف مباشرة إلى إقامة علم السيمياء . لكنه ، عندما حاول ايجاد موقع لعلم اللسانية بين سائر العلوم ، قادته المقارنة بين اللغة وأنساق العلامات الأخرى ، مثل أبجدية البكم والاشارات العسكرية والطقوس الرمزية وطرق الآداب الخ ... ، إلى « تصور علم يبحث في حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية ، ويشكل جزءاً من علم النفس الاجتماعي ، وبالتالي من علم النفس »[١] . هذا العلم ، يقول دو سوسير ، « سوف نطلق عليه اسم السيميولوجيا (من اليونانية semeion أي علامة) ، فهو سيعلمنا ما هو قوام العلامات وما هي القوانين التي تحكمها . لكن بما أنه لا يزال غير حاصل فإننا لا نعرف ماذا سوف يكون . إنما له الحق في الوجود ومكانه محدود مسبقاً . أما اللسانية فليست سوى جزء من هذا العلم العام ، وعليه فالقوانين

(١) Cours de linguistique générale, p. 33.

التي تكتشفها السيميولوجيا يمكن تطبيقها على اللسانية ، وهكذا تكون هذه الأخيرة قد وجدت ارتباطها بمجال معين بين مجموعة الوقائع الانسانية »[1].

اذن ، بالرغم من أن دو سوسير لم يبين علم السيميولوجيا المرتجى ، إلا أن بعض المفاهيم والتمييزات الأساسية التي وضعها لعلم اللسان ، وعلى الأخص مفهوم العلامة اللفظية ، جرى تطبيقها من قبل أتباعه ، لكون اللغة النسق الأكثر تعقيداً وشيوعاً ، على مجالات أخرى من العلامات[2].

١ ـ تعريف العلامة

ينطلق دو سوسير ، في تعريفه للعلامة اللفظية ، من نقد التصور الزاعم بأن اللغة ليست سوى لائحة من المفردات المقابلة لعدد مماثل من الأشياء .

« فالعلامة اللفظية لا تربط بين الشيء والاسم ، بل بين المفهوم والصورة السمعية image acoustique . وهذه الصورة ليست صوتاً مادياً ، أي شيئاً فيزيائياً بحتاً ، بل هي الأثر النفسي لهذا الصوت ، أي التمثل الذي تمنحنا إياه شهادة حواسنا لهذا الصوت »[3].

يتضح من هذا أن دو سوسير يعتمد على التمييز بين مستويين : النفسي psychique والمادي matériel . فعلى المستوى النفسي يكون حصول الصورة السمعية والمفهوم ، أما على المستوى المادي فيوجد الصوت المادي والشيء chose الخارجي ،

---

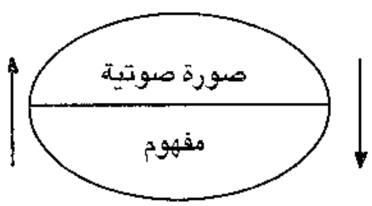
(١) المرجع ذاته ، الصفحة ذاتها .
(٢) المرجع ذاته ، الصفحة ١٠١ .
(٣) المرجع ذاته ، الصفحة ٩٨ .

أي مـا يُعرف حـالياً بـاسم « المرجِـع » أو « المـرجـوع إليـه » : référent

المستوى النفسي: الصورة السمعية ـــــ المفهوم

المستوى المادي: الصوت المادي ـــــ الشيء (الخارجي)

وبـالتالي ، وفقـاً لدو سـوسير ، تختص العـلامة بـاقتـران حـدّي المستوى النفسي ، أي الصورة السمعية والمفهوم . وهذا الاقتران انما يحصل بشكل يستحيل معه تحقق أحد الحـدين دون الآخر . فالأمر الوحيد المتحقق بالفعل entité concrète هو العلامـة ، وما اعتبار كل حدّ على حدة سوى تجريد محض . إذن ، العلامة اللفظية هي « أمر نفساني ذو وجهين »[1] :



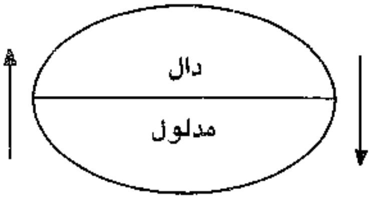
فهي ، حسب تشبيه دو سوسير لها ، كالورقة التي لا يمكن تمزيق احدى صفحتيها دون إتلاف الأخرى .

تجنباً للإشكالات الناجمة عن إطلاق البعض اسم « العلامة » على الصورة الصوتية ، يقترح دو سوسير أن يسمي كلاً من الحدّين بكلمات متضايفة . وهكذا يستبدل مصطلح « الصـورة الصوتيـة » بـ « الـدالّ » signifiant ، ومصطلح « المفهـوم » بـ « المدلـول » signifié . لا ريب أن معنيي « الدال » و « المدلول » ، هما على وجه

---

(١) المرجع ذاته ، ص ٩٩ .

من العموم يُتيح تطبيقهما ليس على الألفاظ ، أي العلامات اللغوية ، فحسب ، بل على سائر العلامات . وعليه ، من وجهة نظر دو سوسير ، يصبح تعريف العلامة ، أية علامة على الاطلاق ، بأنها اقتران بين الدال والمدلول على النحو الذي سبق ذكره :



في « محاضراته في اللسانية العامة » ، يقتصر المؤلف على العلامات اللغوية ، أي الألفاظ ويرى فيها ، بالإضافة إلى خصائص التعريف العام ، هاتين الميزتين : فمن ناحية ، تبدو العلامة اللغوية علامة اتفاقية أو اختيارية arbitraire ، ومن ناحية أخرى هي خطية linéaire . فكون العلامة اتفاقية أو اختيارية لا يُراد به ، كما يحتمل معنى الكلمة الفرنسية «arbitraire» ، أن الربط بين الدال والمدلول رهن إرادة الفرد ، بل المقصود أن العلاقة بين طرفي العلامة علاقة لا تجد لها مبرراً immotivé في الطرفين ، كما هي الحال في الإيماء pantomime ، بل تنجم عن عادة جماعية habitude collective[١] . فمن الواضح مثلاً أنه ليس بين معنى كلمة « باب » ولفظتها من علاقة داخلية ، إذ أن المعنى نفسه يؤدى عند جماعات أخرى بـ «door» و «porte» الخ . أما الميزة الثانية فتعود إلى العلامة اللغوية ، لأن الدال فيها يتصف ، من حيث هو تعاقب ألفاظ ، بكونه زمنياً ، أي ممتداً على بعد واحد . وهذا ما يظهر مباشرة حين تمثيل الدال بالكتابة .

---

(١) المرجع ذاته ، ص ١٠٠ .

مما سبق نستخلص ما يلي : ثمة أربعة أمور يجب التمييز فيما بينها ، وهي : الصورة السمعية ، المفهوم ، الصوت المادي ، الشيء الخارجي . أما العلامة فتلتئم فقط من الصورة السمعية والمفهوم concept (أي التصور) ، الذي هو أيضاً صورة ذهنية . وبالتالي فالعلامة ، كما يعبر عن ذلك دو سوسير ، صورة بحتة وليست جوهراً substance .

٢ ـ العبارة والمضمون

استناداً إلى طروحات دو سوسير ، ينطلق العالم اللساني الدانماركي هيلمسلاف Hjelmslev بوجه عام من مستويين للغة : مستوى العبارة ومستوى المضمون. وبما أن كل لغة تنفرد عن غيرها على كل من المستويين ، من جهة بالأصوات التي تختارها لإفادة المعنى ، ومن جهة أخرى بطريقة تركيب الألفاظ التي تؤدي بها المعنى ، لذلك يميز هيمسلاف ، بالنسبة لكل مستوى ، بين الجوهر substance وبين الصورة (أو الشكل) Forme.

فهكذا نستطيع على مستوى المضمون مثلاً ، أن نتحقق أنّ المسلسلات التالية من عدة لغات(١) :

لست أعرف	(عربي)
I do not know	(انكليزي)
Je ne sais pas	(فرنسي)
naluvara	(اسكيمو)

تشترك في مقصود معين واحد ، بالرغم من الاختلاف في التراكيب (إذ أن النفي يؤدى باللغة العربية بفعل ناقص ، بينما

---

(١) انظر : Prolégomènes à une théorie du language, p.69.

بالانكليزية بحرف not مسنداً إلى الفعل do ، وبالفرنسية بحرفين ne... pas الخ...) . هذا المقصود المشترك يطلق عليه هيلمسلاف اسم « المادة » أو « المعنى » (دانمركي : Mening ، انكليزي : purport).

وكذلك إذا قارنا من حيث التقطيع بين لغات مختلفة ، مثلاً بين [1] :

<table>
<tr><th>دانمركي</th><th>الماني</th><th>فرنسي</th><th>عربي</th></tr>
<tr><td rowspan="2">trae</td><td>Baum</td><td>arbre</td><td>شجرة</td></tr>
<tr><td rowspan="2">Holz</td><td rowspan="3">bois</td><td rowspan="2">خشب</td></tr>
<tr><td rowspan="4">skov</td></tr>
<tr><td rowspan="3">wald</td><td rowspan="2">حرش</td></tr>
<tr><td rowspan="2">forêt</td></tr>
<tr><td>غابة</td></tr>
</table>

نجد أن كل لغة تنفرد عن الأخرى في كيفية فرزها للمنطقة الدلالية المقصودة ذاتها . فالمادة غير المتعينة واحدة أما الصور والأشكال التي تتعاقب عليها فمختلفة .

وكذلك ، بالنسبة لمستوى العبارة ، نجد التمييز نفسه . فكل لغة تختار من المنطقة الصوتية الحروف المناسبة لها ولا تقبل إلا بعضاً من التنويعات الممكنة لهذه الحروف . هكذا مثلاً ، إذا قابلنا بين تقطيع المجال المتصل للحروف الصائتة voyelle في اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى ، نلاحظ أن العربية لا تفصل في هذا المجال إلا بين ثلاثة حروف ، بينما تلك اللغات تقر بخمسة أو أكثر :

---

(١) انظر : المرجع ذاته ، ص ٧٢ .

ـَ	ـِ		ـُ	
a	i	e	u	o

إذن كل مستوى من مستويي العبارة والمضمون يفترض من ناحية صورة أو شكلاً ومن ناحية ثانية مادة أو معنى . فالمادة بحد ذاتها ، أي بالاستقلال عن أي استعمال لغوي ، هي مبهمة غير متعينة ، ولا يمكن أن توجد إلا متلبسة بصورة ما ، حالها حال غيمة أو قبضة من الرمل ، تتعاقب عليهما أشكال عديدة ، مع استحالة وجودهما دون الشكل[١] . فالمادة حين تلبسها بالصورة يطلق عليها هيلمسلاف اسم الجوهر susbtance ، وبقول آخر ليس الجوهر سوى تجلي المادة في الصورة.

من الواضح أن ما يهم مستويي العبارة والمضمون هو الصورة والجوهر ، إذ أن المادة تقع خارج أي استعمال لغوي . من هنا التمييز بين أربعة علوم ، يبحث كل منها في قسيم من أحد المستويين . فجوهر العبارة ، وهو واحد بالنسبة لكل اللغات ، هو موضوع الفونيطيقا phonetics, phonétique ؛ أما صورة العبارة التي تكوّن نسقاً خاصاً بكل لغة على حدة فيبحث فيها علم الفونولوجيا أو علم اللفظيات phonemics phonologie . وبالنسبة للمضمون ، فصورته هي موضوع علم المبنى grammaire الخاص بلغة ما ، أما جوهره فيختص به علم المعنى :

---

(١) انظر : المرجع ذاته ، ص ٧٠ .

مستوى العبارة		مستوى المضمون	
جوهر العبارة	صورة العبارة	صورة المضمون	جوهر المضمون
الفونيطيقا	الفونولوجيا	علم المبنى	علم المعنى

اللســـــانيــة

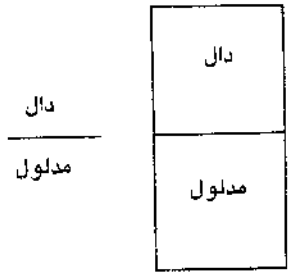
بـالنسبة لمـدرسة كـوبنهـاغن ، لا يتضمن علم اللسـان بـالمعنى الحصري ، من كل واحد من المستويين ، سوى الصورة . إذ أن هيلمسلاف ، على غرار دو سوسير ، يفهم اللغة بأنها صورة مميزة مرتبة بين جوهرين : جوهر العبارة ، وجوهر المضمون .

٣ ـ الدلالة الأصلية والدلالة التبعية
dénotation et connotation

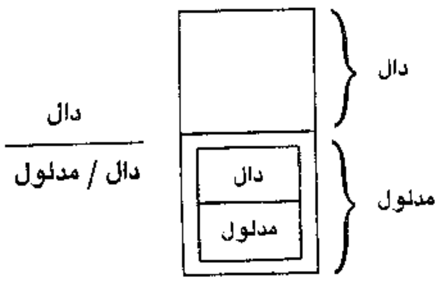
التقابل بين الدلالتين : الأصلية والتبعية ، أصبح شـائعاً مـع رولان بارت في كتابه « مبادىء السيمياء » . ولقد استقى بارت هذه الدلالات عن هيلمسلاف . فـالألسني الدانمـاركي ، استنـاداً إلى الفصل بين مستوى العبارة ومستوى المضمون ، يميز بصورة عامة بين ثـلاثة أنـواع من اللغـات أو السيميـاءات[١] sémiotiques . فـالسيمياء الـدالة دلالـة أصلية هـي التي لا يكـوِّن أي واحـد من مستوييها سيمياءً بحد ذاته ، كما هي حال اللغات في استعمـالها العادي حين تصف العالم الخارجي . ويجري تمثيلهـا على النحو الآتي :

---

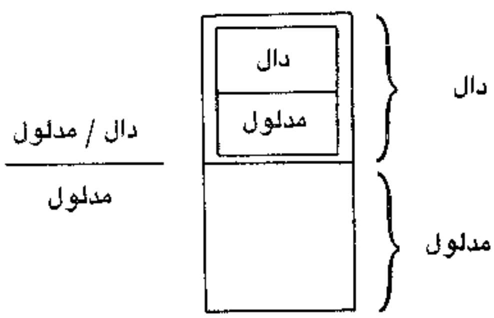
(١) انظر : ... Prolégomènes à une théorie du langage. pp. 144



تبقى امكانيتان بالإضافة الى مستويي السيمياء من حيث التركيب ؛ فإما أن يشكل المدلول بدوره سيمياء ، ويكون بالتالي مركباً من دال ومدلول ، وفقاً لهذا التمثيل :



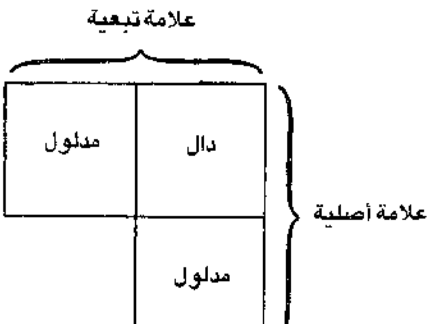
وإما أن يكون تركيب الدال على النمط المذكور ، أي هكذا :



فالإمكانية الأولى تسمى « سيمياءً ما ورائية أو فوقية أو أيضاً من الدرجة الثانية métasémiotique» ، إذ هي سيمياء تتكلم عن سيمياء . مثال ذلك علم النحو الذي يتناول بالبحث لغة ما.

أما الامكانية الثانية فهي ما يسميها هيلمسلاف بالسيمياء أو اللغة ذات الدلالة التبعية sémiotique connotative . هذا النوع من السيمياء، بمفهوم الألسني الدانمركي، ينطوي على ظواهر مختلفة تتعلق بشكل ما بمستويات اللغة . من هذا القبيل ، مثلاً ، دلالة اللحن على الاستفهام أو التعجب أو الشك الخ ... ، ودلالة التركيب على أن القول هو شعر أو نثر ، ودلالة الأسلوب على كونه ابداعياً أو تقليدياً أو سوقياً ، ودلالة اللهجة على كون المتكلم لبنانياً أو مصرياً، مدنياً أو ريفياً الخ ....

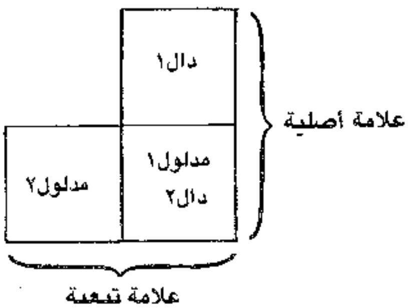
إن حشر كل هذه الظواهر تحت عنوان اللغة التبعية ، كما ورد تعريفها ، لا يخلو من الخلط والالتباس ، فبعض العلامات المذكورة في هذا المجال لا تقترن باللغة الشيئية langue-objet ككل ، بل هي تقترن بدال هذه اللغة فقط على هذا النحو :



ومثاله دلالة اللفظ الحلقي للجيم على كون المتكلم مصرياً .

كذلك ، لا نسلّم أن الكنايات المعهودة تندرج تحت التعريف

المذكور للغات التبعية ، ففي قولنا مثلاً « فلان سميك النظارات » كنايةً عن أنه مثقف ، يرتبط المدلول « مثقف » بالمضمون « سميك النظارات » ، وليس هو بالعلامة المركبة من العبارة والمضمون معاً ، على ما يظهر في التمثيل الآتي :



إذ أنه ، في الواقع الخارجي المستقل عن اللغة اللفظية ، قد تتحقق العلامة الثانية دون الأولى . بل أكثر من هذا ، فإن بعض الأمثلة التي ترد في هذا المجال لا ترتبط بأحد طرفي العلامة من حيث هي اتحاد صورة العبارة مع صورة المضمون ، بل بأحد جوهري المضمون والعبارة . فالتوتر مثلاً في صوت المتكلم ، الذي يشير إلى كونه فرحاً ، هو من خصائص الفونيطيقا وليس من خصائص الفونولوجيا.

عادة ، في المؤلفات التي تتناول السيمياء ، يُهمل من الدلالة التبعية الجانب التداولي pragmatique للعلامَة ، حيث يكون دورها مجرد شاهد index على المتكلم وعلى حاله ونوعية لغته أو لهجته الخ ... ، ويقتصر دور الدلالة المذكورة على العلاقة القائمة على مستوى المعاني والمراجع الخارجية référent فقط ; بهذا المفهوم تشتمل الدلالة التبعية دون شك على العلاقات التي تتحقق في

المجازات من شبه وعموم ومجاورة وسببية ولزوم الخ ... ولا خلاف بينها وبين المجازات سوى أن المدلول الأصلي هو أيضاً مراد ومقصود فيها مع المدلول التبعي.

لكن ، بالرغم من هذا الحصر للدلالة التبعية ضمن المفهوم الأخير ، يبقى مجالها واسعاً بشكل عام جداً حتى أنها أحياناً تتساوى عند البعض مع مفهوم تداعي المعاني association d'idées . ثمة اقتراحات لضبطها أكثر . فبالامكان اعتماد معيار كميّ مثل درجة العرف convention وشدة التداعي[1] . وعليه ، تكون مثلاً دلالة قارورة الزجاج على النهد من باب التداعيات لاقتصارها على مخيلة فرد واحد ؛ بينما يكون اقتران الشيخوخة بالشيب من الدلالة التبعية ، لكثرة شيوعها .

٤ ـ تصنيف الانساق السيميائية

لقد تبين لأندريه مارتينه A.Martinet أن الألسن الطبيعية تمتلك خاصية تميزها عما سواها من وسائل الاتصال ، وهي خاصية أطلق عليها اسم التَمَفْصُل أو التقطيع المزدوج la double articulation . ويعني هذا العالم الألسني بذلك أن الألسن الطبيعية تتمَفْصَل مرتين : ففي التمفصل الأول ، تلتئم العبارة اللغوية من وحدات دلالية بسيطة هي الكُلَيْمات (= مونيمات monèmes ، أو أيضاً مورفيمات morphèmes) . فهكذا مثلاً في الجملة « الولد في الحقل»، نقع على خمس كُليمات هي: الـ ـ ولد ـ في ـ الـ ـ حقل. بينما في التمفصل الثاني يرجع تقطيع دال الوحدة الدلالية ذاتها إلى وحدات أولية غير دالة تُسمى « الفونيمات phonèmes » ، وظيفتها التمييز بين الكليمات . فلفظة « حقل » تحتوي على أربع

---

(١) انظر : Klœpfer, R., Poetik and Linguistik, s.91

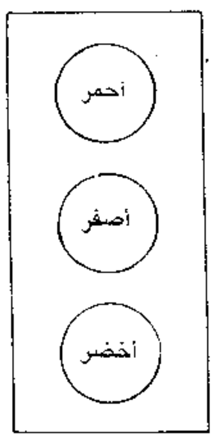
فونيمات هي : حـ / ـتـ / ق / ل.

من هنا اعتُمِد التمفصل معياراً أساسياً لتصنيف الانساق السيميائية[١] :

الصنف الأول: يحتوي على وحدات دلالية[٢] يستحيل تقطيعها ككل إلى عدة علامات ، ويستحيل كذلك تقطيع دالها إلى عدة مركّبات بسيطة ، أي إلى ما يسمى بالأشكال Figures . هذا ما يمكن تمثيله على النحو الآتي :

دال١	دال٢	دال٣
مدلول ١	مدلول ٢	مدلول ٣

مثال ذلك نسق أضواء السير عند تقاطع الطرق ، فهو يتركب عادة من ثلاث وحدات دلالية لا تجتمع أبداً ، ولا يمكن تقسيم دال كل منها إلى اشكال أكثر بساطة :



(١) انظر : J. Martinet, La sémiologie, pp. 113-115, 157-159.

(٢) يصطلح اريك بويسانس Buyssens ولوي برياتو Prieto على كلمة «sème» .

فـالضوء الأحمـر يشير إلى منـع المرور ، والضـوء الأخضر إلى السماح به ، بينما الضوء الأصفر يدل على المرحلة الانتقالية . كذلك يعـود إلى هذا الصنف الاتصـال الحيواني عـامة وبعض أنســاق الحركات gestes.

الصنف الثاني : يقوم من وحدات دلالية قابلة لـلانقسام إلى علامات بسيطة ، كل علامة منها يمكن أن تدخل في تركيب وحدات دلالية مختلفة ، وفقاً للنمط التالي ، حيث « د » هو مختصر « الدالّ » و « م » « المدلول » .

د١	د٢	د٣	د٤
م١	م٢	م٣	م٤

د٢	د٥	د٤
م٢	م٥	م٤

من وحدات هذا الصنف لافتـات السير ، التي يمكن تحليـل كـل واحدة منها إلى عدة علامات ، كل علامة قد ترد في أكثر من لافتة . فهكذا مثلاً تشترك هاتان اللافتتان :



بـالحلقة الحمـراء الدالـة على منع المـرور ، وتختلفـان بعـلامتي

سيمـ » للدلالة على الوحدة الدلالية ، أي العلامة بوجه عام مركبة كانت أم بسيطة ، بينما يقصران استعمال « علامة Signe » على الوحدة الدلالية غير القابلة للانقسام ، أي العلامة البسيطة . من البديهي أن هذا الاستعمال لكلمة «sème» يختلف عما هو شائع بعد غريماس في علم المعاني . اذ بمفهوم هذا الأخير ، السيمات هي المركّبات البسيطة التي يتألف منها المدلول ، أي ما يقـابل مقـوّمـات المعنى semantical Constituent في اللسانية التحويلية .

الشاحنة والدراجة . يمكن اعتبار ترقيم الغرف في الفنادق من هذا الصنف أيضاً . فالرقم « ٣٥ » مثلاً يشير كوحدة دلالية إلى غرفة معينة من الفندق ، كما أن كل جزء منه يشكل علامة كاملة : فالرقم « ٣ » يعيّن الطابق ، والرقم « ٥ » مرتبة الغرفة .

٥	٣
الغرفة الخامسة	الطابق الثالث

ومن الواضح أنه قد تَدخل كل علامة من العلامتين في وحدات دلالية أخرى ، مثلما هي الحال في أرقام الغرف «٢٥» و«٣٢» ... حسب عدد الطوابق.

الصنف الثالث : وفيه يستحيل تقطيع الوحدة الدلالية إلى عدة علامات ، بل يقتصر تركيبها على علامة بسيطة فقط . لكن بالامكان تحليل دال كل وحدة دلالية إلى مركَّبات مختلفة ليست ذات دلالة ، أي إلى اشكال (ش) ، وتمثيل ذلك كالآتي :

دال ١

ش١	ش٢	ش٣
مدلول ١		

دال ٢

ش٣	ش٤	ش٢	ش٥
مدلول ٢			

يندرج تحت هذا الصنف مثلاً : دقات استهلالات البث الاذاعي ، دقات الأوامر العسكرية ، تراقيم السجل . ففي هذه الحالات يتألف الدال من عدة نوطات أو عدة أرقام ، يمكن أن تدخل كل نوطة أو أن يدخل كل رقم منها في دالات مختلفة ، لكن دون أن يكون للنوطة الواحدة أو للرقم المنفرد مدلول ما .

الصنف الرابع : هو ما يشكل انساق اللغات الطبيعية كما سلف شرحه . أي أنه النسق الذي تلتئم فيه الوحدات الدلاليـة من عدة علامات ، كـل دال علامـةٍ منها يمكن تقسيمـه إلى عدة أشكـال ، بالطبع ، مع جواز دخول العلامات ذاتها في وحدات دلالية مختلفة ودخول الأشكال ذاتها في علامات متنوعة . وهذا نمطه :

وحدة دلالية ١

دال ١			دال ٢		دال ٣			
ش١	ش٢	ش٣	ش٤	ش٣	ش٥	ش٢	ش٦	ش٤
مدلول ١			مدلول ٢		مدلول ٣			

وحدة دلالية ٢

دال ٤			دال ١		
ش٤	ش٣	ش٥	ش١	ش٢	ش٣
مدلول ٤			مدلول ١		

بالاضافة الى العبارات اللسانية ، لا يمنع برياتو Prieto إمكانية تحقق التمفصل المزدوج في انساق أخرى . فثمة نسق ترقيم للهاتف يندرج تحت هذا الصنف[١] . مثلاً رقم الهاتف ٦١٣٤٨٩/٢٥/١٧ يتركب من ثلاث علامات ذات المدلولات الآتية :

٩	٨	٤	٣	١	٦	٥	٢	٧	١
المشترك						المدينة		المقاطعة	

مع ائتلاف كل علامة منها من عدة اشكال .

بالطبع ، على الرغم من أنه يجوز نظرياً أن تتركب كل الوحدات

(١) انظر اعتراض مونان على ذلك في : Introduction à la sémiologie, p.135.

الدلالية من علامات مختلفة كلياً بعضها عن بعض ، وأن تتركب كل العلامات كذلك من أشكال مختلفة ؛ إلا أنه عملياً لا مبــرر لوجــود التركيب في الوحدات الدلالية وفي العلامات سوى إمكانية دخــول المركّبات نفسها من أشكال وعلامات في مــركّبات مختلفــة ، نظراً لمبدأ التوفيــر ، وإلا وجب استعمال عــدد لا محدود من الاشكــال والعــلامات ؛ وهــذا ما يتعــارض وملكات الانســان الفيزيــولوجيــة والذهنية .

****

III

التيار المنطقي الفلسفي

يقول بيرس Charles S.Peirce : « انا ، على ما أعلم ، الرائد أو بالأحرى فاتح الغاب ، في توضيح وكشف ما أسميه بعلم السيمياء ، أي مذهب الطبيعة الجوهرية والتنوعات الأساسية للدلالة الممكنة »(١).

وبالفعل ، يُعتبر الفيلسوف الأميركي تشارلز بيرس (١٨٣٩ - ١٩١٤) مؤسس علم السيمياء الحديث وأول باحث منهجي فيه . فقد تسنى له أن يضبط المفهوم العام للعلامة وأن يضع أغنى قائمة لأصناف العلامات .

١ ـ المقولات الكلية

يستند علم السيمياء عند بيرس إلى فلسفة شاملة للكون ، تبدو بسبب طبعها المغالي في التجريد والتعميم موضع شكّ لأن تكون صالحة لتأسيس نظرية المعرفة عامةً والسيمياء خاصة . مع ذلك فهي توفر منهجية سهلة لإقامة نظرية العلامة.

(١) C.P. 5,488.

من خلال المقارنة بين معطيات التجربة ، استطاع أرسطو أن يستخلص عشرة مفاهيم تندرج تحتها كل الكائنات ؛ هذه المفاهيم خصها باسم المقولات . أعاد كانط (Kant) محاولة التصنيف ، لكنه ، إذ انتقد أرسطو لعدم اعتماده على طريقة موثوق بها تسمح له بتعيين المقولات ، توصل عبر تصنيفه للأحكام وتحليله لها ، إلى اشتقاق اثنتي عشرة « مقولة » موافقة لها . لقد تأثر بيرس كثيراً بكانط ، كما يعترف بنفسه « إن قائمتي نجمت أساساً عن استقصاء لائحة كانط »[١] . لذلك فهو من جهة يحاول ، كما فعل كانط أن يشتق المقولات من المفاهيم المنطقية « إذ أن المفاهيم الميتافيزيائية هي مجرد تعديل لمفاهيم المنطق الصوري ، وبالتالي لا يمكن إدراكها إلا على ضوء نسق وافٍ ودقيق جداً للمنطق الصوري »[٢] . لكن من جهة أخرى ، لا يرى بيرس مانعاً من إمكانية انتزاع المقولات من التجربة ذاتها ، « فالميتافيزياء ، حتى الرديء منها ، تقوم بالفعل على الملاحظة ، بشكل واعٍ أو غير واعٍ . أما كون ذلك غير مجمع عليه فيعود الى أن الميتافيزياء تعتمد على أصناف من الظواهر phenomena تكون كل تجربة عند الانسان مشبعة منها لدرجة أنه لا يوليها أدنى انتباه »[٣] . لا شك أن شبهة التعاند في وجهتي النظر هاتين تزول إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن مقولات الفكر ذاتها تنطبق على الموجود ، كما يشير بيرس الى ذلك[٤].

في استخراج المقولات ، لم ينطلق بيرس من تصنيف الأحكام بحسب الكم والكيف والحمل والجهة ، كما فعل كانط ، بل تعدّى ذلك إلى ما هو أشمل ؛ فوجد أن كل الأحكام ، بالرغم مما بينها من

---

(١) C.P. 1,300.
(٢) C.P. 1,625.
(٣) C.P. 6,2.
(٤) راجع C.P. 1,300.

اختلاف ، تشترك في تركيب ثلاثي واحد هو : موضوع ـ رابطة ـ محمول . من هذا التركيب توصل إلى اشتقاق مقولاته الثلاث الشاملة التي استقر أخيراً على تسميتها بصورة مجردة : الأولية Firstness أو أيضاً باختصار الأول First ، الثانوية secondness أو الثاني second والثالثية thirdness أو الثالث third.

فمقولة الأول هي « حال وجود ما يوجد بحدّ ذاته ، إيجابياً ودون نسبة إلى أي شيء آخر » . تنتمي إلى هذه المقولة الكيفيات الشعورية qualities feelings أي كيفيات الظواهر الحسية كالأحمر والمر والمالس ... ، بغض النظر عن تحققها في الزمان والمكان ، أو كونها مدركة إدراكاً حسّياً أو متذكرة . وبالتالي فالأوليات مأخوذة من دون اعتبار الأشياء التي تحل فيها بل من حيث هي مجرد إمكان . « تصوّر مثلاً وعياً ليس فيه لا مقارنة ولا إضافة ولا تعدد ولا تبدل ... وعياً ليس سوى خاصية إيجابية . مثل هذا الوعي قد يكون مجرد رائحة ، مجرد صفير ... وبالاختصار كل كيفية للشعور feeling بسيطة وموجبة هي الممثل الحقيقي لمقولة الأول »[1] .

مقولة الثاني هي « حال وجود ما يوجد بحد ذاته ، نسبةً إلى شيء ثانٍ ، لكن دون اعتبار شيء ثالث » وهي تشكل مقولة الواقع actuality أو الوجود ؛ إذ أن وجود شيء ما أو حدث ما لا يمكن التحقق منه إلا بتفاعله مع شيء آخر.

أما مقولة الثالث فهي « حال وجود ما يوجد بحد ذاته ، من حيث أنه يوقع نسبة بين ثانٍ وثالث » . تندرج تحت هذه المقولة كل الأشكال والعمليات الذهنية الواعية كالتفكير والمعرفة والتقعيد والاتصال . وعلى رأس هذه الأشكال والعمليات العلامة بالذات ، إذ

---

(١) Peirce, Die Festigung der Überzeugung und andere Schriften, 144.

إنها تمثل العلاقة الثلاثية على أكمل وجه ، كما سيتضح لنا بالتفصيل.

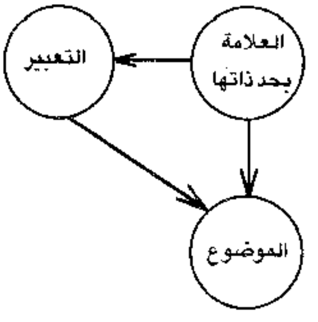
الأوّلية:	الإدراك الحسي أو الإحساس	الكيفية	الصفة	الإمكان
الثانوية:	التجربة أو الفعل	الكمية	الموضوع الخارجي	الوجود (أي التحقق)
الثالثية:	الفكر أو العلامة	التمثيل أو الاستحضار (representation)	العلاقة	الضرورة

علاوة على ذلك ، حاول بيرس أن يبني المقولات الثلاث على منطق المحمولات . أي ، بحسب التدرج ، تعود مقولة الأولية إلى المحمولات الأحادية نحو « **س** هو أحمر » ، والثانوية إلى المحمولات أو العلاقات الثنائية نحو « **س** أصغر من ع » ، والثالثية إلى المحمولات أو العلاقات الثلاثية نحو « **س** تقع بين ع و **ف** » . وبما أن سائر العلاقات الرباعية وما فوق يمكن ، وفقاً لبيرس ، تأديتها بعلاقات ذات حدود أقل ، خلافاً للعلاقات المذكورة ، نجم عن ذلك أن المقولات الثلاثة تشكل المقولات الأساسية التي لا يمكن اختزالها . فهكذا على سبيل المثال لا يمكن تحليل العلاقة الثلاثية « **أ** يعطي **ب** لِـ **ج** » إلى الوصل بين علاقتين ثنائيتين كقولنا « **أ** يتخلى عن **ب** » و « **ب** يصبح مُلْكاً لِـ **ج** » لأن هذا التركيب الجديد يفتقر إلى القصد الحاصل في القضية الأولى وهو أن **أ** يتوجه الى **ج** في إعطاء **ب** .

٢ ـ مفهوم العلامة

العلامة ، التي هي نموذج لمقولة الثالثية ، تشكّل إذن من حيث الكنه علاقة ثلاثية بين ثلاثة أركان يطلق عليها بيرس أسماء : العلامة

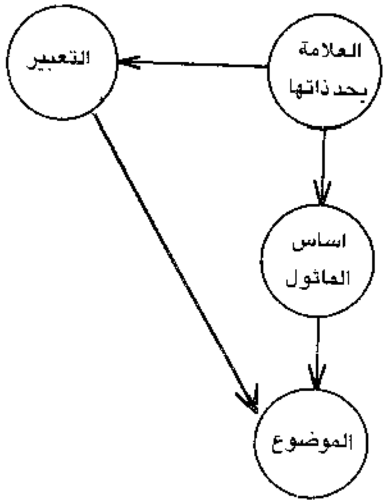
بحـد ذاتـهـا sign in itself ، والمـوضـوع object والتـعـبيـر interpretant :



فالعلامة هي ، بنظره ، شيء ما قائم لشيء آخر ومدرَك أو معبَّر عنه من شخص ما .

هذا هو المفهوم العام للعلامة . لكن في بعض التحليلات[1] ، يضيف بيرس أن العلامة بحد ذاتها لا تنال الموضوع مباشرة ، بل من وجه ما some respect ، يسميه « أساس الماثول » أو « أساس المستحضر » the ground of the representamen ، والماثول عنده مصطلح مرادف للعلامة بحد ذاتها :

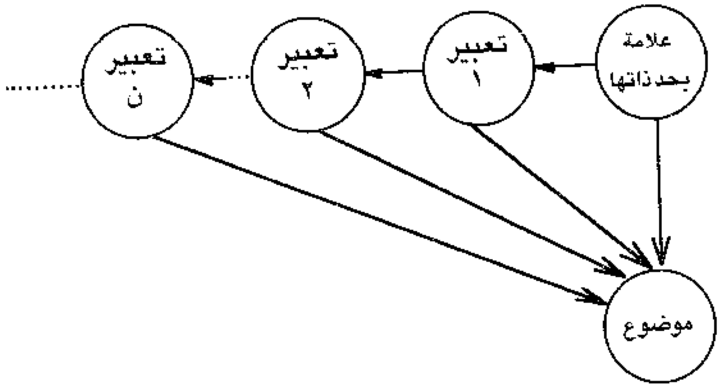
(١) راجع : C.P. 2,228.



هكذا مثلاً تكون العلامة المركبة « سجين القديسة هيلانة » دالة على الموضوع : نابليون الأول، من حيث أنه سجين الجزيرة المذكورة . أما التعبير فهو تصور آخر تبعثه العلامة في ذهن الشخص المدرك . فالتعبير interpretant إذن هو ما يصدر عن المعبِّر interpret من رد فعل ظاهراً كان ، أم غير ظاهر كما هي الفكرة أو الصورة الذهنية . رد الفعل هذا ، الذي يدل على الموضوع أي يعبِّر عنه ، يشكّل بدوره علامة أخرى تستدعي تعبيراً ثانياً وهلم جرا الى مالانهاية له . ولذلك يحدد بيرس العلامة بالتفصيل بأنها :

« أولٌ First يرتبط بعلاقة ثلاثية أصيلة genuine مع ثانٍ second يسمى موضوعه ، بحيث أنه قادر على أن يعيّن ثالثاً third ، يسمى تعبيره ، كي يقوم (هذا الثالث) بالعلاقة الثلاثية ذاتها التي

يرتبط بها بموضوعه الأول ... »[١] و « هكذا إلى مالا نهاية له »[١].
هذا التعريف يمكن تمثيله على الشكل الآتي :



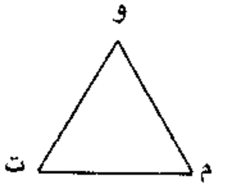
في مثلنا السابق يمكن اعتبار كل التصورات التي يستدعيها القول « سجين القديسة هيلانة » أمثال : المنتصر في أوسترلتز ، قائد الحملة إلى مصر ، زوج ماري لويز ، امبراطور فرنسا ؛ على التوالي بمثابة تعبير أول وتعبير ثاني وتعبير ثالث وتعبير رابع الخ ... عن الموضوع : نابليون .

٣ ـ نسب العلامة

يستفاد مما سبق أن العلامة تقوم أساساً على علاقة ثلاثية (**ل**) بين ثلاث حيثيات هي على التوالي : العلامة بحد ذاتها ، أو كما نريد أن نقول مع بنزي M. Bense ، الوسيلة (**و**) ، والموضوع (**م**) ، والتعبير (**ت**) . هذا ما يمكن إجماله بشكل مثلث :

---

(١) C.P. 2,242.



استناداً إلى هذا التحليل ، يرمز بنزي إلى تركيب العلامة (ع) على النحو الآتي :

ع ⇋ ل (و ، م ، ت)

وبشكل أدق ، للاشارة إلى تسلسل الحيثيات ، أي إلى أن الموضوع يتبع الوسيلة ، والتعبير يتبع الوسيلة والموضوع معاً ، يؤدي بنزي العلاقة الثلاثية للعلامة (ل ع) هكذا :

ل ع ⇋ ((و ⇐ م) ⇐ ت)

وبما أن كل حيثية من هذه الثلاث تنتمي إلى احدى المقولات التي سبق ذكرها ، إذ أن الوسيلة هي من مقولة الأول ، والموضوع ، لكونه يعود إلى الواقع الخارجي وبالتالي يتفاعل مع بقية الوقائع ، هو من مقولة الثاني ، وأن التعبير الذي يشكل بدوره ، كما رأينا ، علامة ، أي أنه بتوجهه نحو الموضوع يستدعي تعبيراً ثانياً ، هو من مقولة الثالث ، يحسن ، على غرار بنزي ، توضيح هذا الانتماء إلى المقولات باستعمال الأعداد ١ و ٢ و ٣ بدلاً من (و) و (م) و (ت)، وتحديد التركيب العلائقي للعلامة على النحو الآتي :

ل ع ⇋ ((١ ⇐ ٢ ⇐ ٣)

هذه الطريقة تُظهر جلياً أن التركيب المذكور يؤلّف ، بحسب لغة نظرية المجموعات ، ثلاثية مرتبة un triple ordonné ، وينطوي في الوقت نفسه على عملية التوليد التي تحصل بالتتابع من ١ إلى ٢ إلى ٣ ، وعملية الفساد degeneration المعاكسة لها . كما تبيّن أن كل حيثية من حيثيات العلامة تمثل إحدى المقولات الكلية . ولهذا

فالعلامة ككل تشكّل نموذجاً حقيقياً للعـالم ، إذ أنها تتضمن كـل الكائنات الممكنة التي تُتصور تحت المقولات الثلاث . فالعلامة من حيث أنها وسيلة تُعد جزءاً من العـالم المادي ، ومن حيث كـونها موضوعاً تعد جزءاً من عالم الأشياء والأحداث ، ومن حيث كـونها تعبيراً تنتمي الى مجال القواعد والأشكال الذهنية.

بالنسبة إلى كل حيثية من الحيثيـات الثلاث ، يُخضـع بيرس العلامة من جديد لتفريع ثلاثي trichotomie موافق للتقسيم الثلاثي للمقولات . إذ أن كل حيثية تنطوي بدورها من جهة ما على مقولة الأول والثاني والثالث ؛ أي بقول آخر على نسبة إلى الوسيلـة (و) ونسبة إلى الموضوع (م) ونسبة إلى التعبير (ت) . لتعيين الفروع التسعـة التي تنجم عن هذه العمليـة ، تلجأ مـدرسة شتـوتغـارت Stuttgart إلى إقامة جدول ضرب على هذا النحو :

التفريع

حيثيات العلامة		و	م	ت
	و	و و	م و	ت و
	م	و م	م م	ت م
	ت	و ت	م ت	ت ت

أو أيضاً باستعمال الأعداد :

التفريع

حيثيات العلامة		١	٢	٣
	١	١١	١٢	١٣
	٢	٢١	٢٢	٢٣
	٣	٣١	٣٢	٣٣

كل واحد من هـذه الفروع التسعـة لا يشكل بحـد ذاته عـلامـة تامة ، بل لا بد له أن يدخل في التركيب مع فروع أخرى حتى يتحقق ذلك ، ولذلك يُطلَق عليه اسم « علامة تحتية » Subzeichen .

مع بيرس سوف نبحث بالتفصيل عن هذه العلامات التحتية ، أعني عن فروع العلامة بالنسبة إلى الحيثيات الثلاث :

١ ـ ٣ العلامة بالنسبة إلى الوسيلة .

ان العلامة من حيث هي وسيلة ، أي بلغة بيرس العلامة بحد ذاتها ، قد تكون مجرد ظاهرة أو كيفية بحتة ، وتسمى عندها « علامة كيفية » Quali-Sign . فكل قوام مادي للعلامة هو كيفية ؛ من هذا القبيل الصفات الحسّية كالألوان والأنغام والروائح إلخ ...

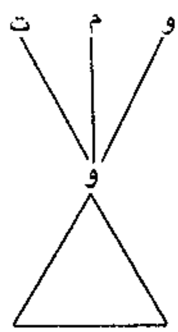
وقد تكون الوسيلة شيئاً أو حدثاً فرديين حاصلين في الخارج ، وتسمى لذلك علامة عينيـة Sin- sign . هكذا مثـلاً تشكّل إحـدى الكلمات في سطر ما من صفحة كتاب مخصوص علامة عينية ، ولو وجدت آلاف النسخ من هذا الكتاب . وكـذلك كـل عمود إشـارات ضوئية هو في مكانه علامة ، مهما تكررت الأعمدة في شارع ما .

أما إذا كانت العلامة ذات طبيعة عامة فتسمى « علامة قانونية » Legi- Sign . خلافاً للعلامة الكيفيـة والعينية ، لا تـرتبط العلامـة القانونية بتحقق مخصوص لها بل تبقى هي ذاتها في كل تجلياتها . هكذا مثلاً كلمة « بيت » ، بغض النظر عن تعدد لفظها أو كتابتها ، هي علامة قانونية واحدة . من نوع هذه العلامات : ألفـاظ اللغات الطبيعية ، الرموز الرياضية والكيميائية ، علامات السير ، الإمارات الجوية ، الشعارات الدينيـة كالصليب والهـلال الخ ... ممـا سلف نستطيـع أن نتبين ان العلامـة العينية ليست سـوى تحقق فردي للعلامة القانونية .

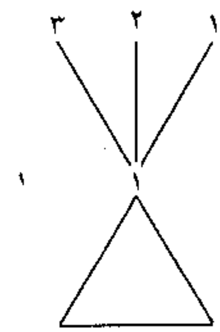
إلى جانب المصطلحات التي أتينا على ذكرها ، يستعمل بيرس أحياناً مصطلحات أخرى مرادفة لها هي وفقاً للتسلسل السابق Tone

و Token و Type ، وقـد لاقت الأخيرتـان وحـدهمـا شيـوعـاً في الألسنية الحديثة . كما أنه غالبا ما يُستعمـل حاليـا في السيمياء لهذين المفهومين اعني لِـ Token و Type المصطلحـان : إسكيمة العلامة Zeichenschema وعيِّنة العلامة Zeichenexemplar .

بشأن التعريفات الواردة في جدولي الضرب السابقين ، تُقابل العلامات الكيفية والعينية والقانونية على التوالي الحروف المرتبة : **(وو)** ، **(م و)** و **(ت و)** . أي ان العلامة الكيفيـة **(وو)** تؤلِّف فرع الوسيلة من حيثية الوسيلة ، والعلامة العينية **(م و)** فرع الموضوع من حيثية الوسيلة ، والعلامة القانونية **(ت و)** فرع التعبير من حيثية الوسيلة :



أو أيضـاً يقـابـل هـذه العـلامـات أزواج الأعـداد (١١) ، (١٢) و (١٣) على هذا الشكل :



٢ ـ ٣ العلامة بالنسبة إلى الموضوع :

من حيث الدلالة على موضوع ، يقسم بيرس العلامة إلى أيقونة Icon وشاهد Index ورمز Symbol . ونعني هنا بالموضوع أي شيء ما يمكن الدلالة عليه أو تسميته .

فالأيقونة ، وفقاً لبيرس ، هي علامة تدل على موضوعها من حيث أنها ترسمه أو تحاكيه . وبالتالي يُشترط فيها أن تشاركه ببعض الخصائص ، أي أن تمثله من جهة التشابه ما بينهما . لكن بالرغم من أن التشابه يفترض تعلق الأيقونة بصفات معيَّنة من الشيء المدلول ، فعن ذلك لا يلزم بالضرورة أن تكون الأيقونة متوقفة على وجود موضوع خارجي معيَّن ، اذ كثيرة هي الأيقونات التي لا تدل إلا على موضوعات وهمية أو متخيَّلة كما في بعض الرسوم (صورة العنقاء) والمسرحيات والأفلام ؛ ناهيك عن أنه في أغلب الأعمال الابتكارية تسبق عادة النماذجُ والتصاميم الموضوعَ المنوي انجازه . من أمثال الأيقونة : الصور والرسوم والنماذج والبنيات والتصاميم والاستعارات والتوابع والمعادلات والأشكال على أنواعها (الأشكال المنطقية ، الأشكال الشعرية ، ...). بالطبع ، لا تؤلِّف مفردات اللغة بالدرجة الأولى أيقونات ، انما هيئة تركيب المفردات ، أي المبنى ، من حيث أنها تطابق ترتيب الموضوعات تدخل ولا شك تحت صنف الأيقونة .

يمكن ابدال أيقونة بأيقونة لها تصوّرها ، وهكذا إلى ما لا نهاية . فمثلاً تكون الصورة الفوتوغرافية للوحة الجوكوندا أيقونة الايقونة ، ونسخة عن الصورة الفوتوغرافية أيقونة أيقونة الأيقونة . في مثل هذه الحال ، يخص بيرس الأيقونة من الدرجة الأولى باسم الأيقونة الاصلية Genuine ، اما التي من درجة أعلى فينعتها بالأيقونات الفاسدة أو المنحدرة degenerate .

تمتاز الدلالة الأيقونية عن غيرها في أنها تصلح لأن تكون وسيلة دولية للتواصل والتفاهم ، وهو أمر شائع في كثير من الميادين ، كما في تصميم المدن والخرائط الجغرافية والتخطيطات العلمية الخ ... انما هذا لا يعني أن العلامات الأيقونية لا تحتاج إلى تفسير ، بل على غرار سائر العلامات يمكن توضيحها وشرحها بعلامات أخرى.

إن الأيقونة لا تقتصر ، كما يوحي أصل المصطلح ، على ما هو مرئي ، بل توجد في أي تشابه أو تلاؤم يقع بين مختلف المعطيات الحسية من مشموم ومسموع ومطعوم . فكما أن مثلاً صورة عبد الوهاب الفوتوغرافية هي أيقونة للمطرب ، كذلك تسجيل لصوته يمثله بهذا المعنى ، إذ أن التسجيل يظهر تشابهاً من وجه ما مع المدلول.

أما الشاهد index (أو أيضاً ما يمكن تسميته بالدليل بالمعنى الخاص)[1] فيختص بعلاقة المجاورة بينه وبين الموضوع . وبسبب هذه العلاقة المباشرة مع الموضوع ، كان من طبيعة هذا الأخير أن يكون فرداً أو حدثاً مخصوصين متعينين في المكان والزمان . من أمثلة الشاهد : الدخان بالنسبة إلى النار ، النصب التي تعطي ارشادات عن الطريق ، التصبيع ، الأسهم ، الأعداد الترتيبية ordinal ، أسماء العلم ، أسماء الاشارة ، ضمائر الوصل ، الخ ...

يُحتاج إلى الشاهد عند كل تعيين لشيء ما . فأية معلومات عن الواقع الخارجي لابد لها وأن تتضمن بعض الشواهد ، إذ من دون هذه لا يمكن الفصل بين الحقيقة والخيال . وبالتالي فالشواهد تخص مجال التجربة الخارجية.

قد يدل الشاهد على موضوعه بطريقة بعيدة وذلك بأن يتوسط بينهما شاهد آخر أو أكثر . فالدخان شاهد على النار ، وهذه بدورها

---

(١) راجع على سبيل المثال : ابن سينا ، النجاة ، المنطق (فصل في الدليل) ص ٥٩ .

قد تكون شاهداً على وجود بيت . بهذا الإطار يميّز بيرس نوعين من الشواهد : شاهد أصلي يرتبط مباشرة بموضوعه وشاهد منحدر ؛ هكذا مثلاً تشكل الطريق التي تؤدي إلى مدينة ما شاهداً أصلياً على المدينة ، بينما إشارة السّير التي تدل على هذه المدينة هي شاهد منحدر ، وبنوع عام كل الشواهد اللغوية ليست أصلية ؛ ذلك أن أسماء العلم ، على سبيل المثال ، ليس لها اتصال مباشر بموضوعها ، وبالتالي فهي تقوم بدور الشاهد فقط من حيث أنها تمكّن من تعيين الشخص . فإذا كان الشخص غير معروف من السامع ، احتاج هذا الأخير الى شواهد أصلية كمحل الاقامة وتاريخ الولادة والإمضاء الخ ... حتى يتم له تعيين الشخص .

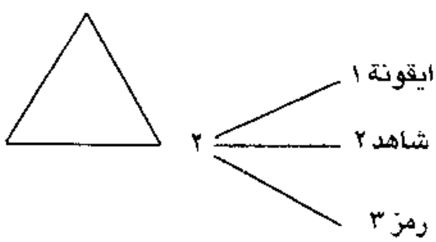
وأخيراً ، الرمز هو علامة تدل على موضوعها ، لمجرد الوضع ، دون أن تكون هناك علاقة شبه أو مجاورة كما هي الحال مع قسيميه : الأيقونة والشاهد . لقد استعمل بيرس كلمة symbol بهذا المفهوم المغاير لما هو شائع ، استناداً إلى تركيب الكلمة اليونانية من σύμ و βολον ، ويُقصد به حرفياً ما يقع ـ مع ، وبالتالي مجازاً ، ما يُتواضع أو يُتفق عليه . بما أن الرمز لا يتصل مباشرة بموضوع معيّن ، فهو لا يدل على فرد أو حدث متعلقين بالزمان والمكان ، بل يرجع إلى موضوع عام . من هذا القبيل مثلاً كلمة « بيت » التي تستعمل للدلالة على أي بيت بالرغم من الاختلافات القائمة بين البيوت المتعددة.

مثلما يفعل بيرس فيما يخص الأيقونة والشاهد ، يميّز أيضاً في هذا المجال بين الرموز الأصلية والرموز المنحدرة . تنتمي إلى الرموز المنحدرة الكلمات الكلية الدالة على فرد مخصوص ؛ مثل كلمة « شمس » التي تنحصر في الدلالة على شيء واحد مع عدم امتناع وجود شموس أخرى . وكذلك تنتمي إلى هذا النوع الكلمات المجردة مثل « الإنسانية » التي تعني مجموعة الناس ككل موحد .

بالطبع ، لا يتم تعـريف الرمـز إلا بالاستعـانة أخيـراً بالعـلامات الأخرى ، أي الشواهد والأيقونات ؛ إذ لا بد في النهاية من الإشارة إلى الأشياء المقصودة بالرمز أو إلى صور مشابهة لها.

لا يمكن إنكار الأهمية الكبيرة للرموز في سائر ميادين المعرفة ، إذ هي قادرة على تمثيل كل الموضوعات والأحداث وإظهار العلاقات القائمة فيما بينها ، خصوصاً في مجال العلوم الجازمة.

وفقاً لجدول الأرقام السابق ، يتحدد كل من الأيقونة والشاهد والرمز على التـوالي بهذه الأزواج من الأعـداد : (٢١) ، (٢٢) ، (٢٣) ، بحيث أن الأيقونة تشكل نسبة العلامة إلى الموضوع من الدرجة الأولى ، والشاهد نسبة العلامة إلى الموضوع من الدرجة الثانية والرمز من الدرجة الثالثة :



إن هذه القسائم الثلاثة ، أعني الأيقونة والشاهد والرمز ، يجب أن تؤخذ بمثابة متوالية توليدية تماماً كما هي حال حيثيات العلامة الثلاثة أي الوسيلة والموضوع والتعبير ، بشكل أن الشاهد يستند إلى الأيقونة ، والرمز يستند إلى الشاهد وإلى الأيقونة معاً.

فيما يخص فروع كل من الحيثيتين ، حيثية الوسيلة وحيثية الموضوع ، يمكن مزجها على النحو الآتي :

إذا أخذنا بعين الاعتبار تسلسل الحيثيات ، أي قدمنا هنا حيثية

الوسيلة على حيثية الموضوع ، وإذا طبقنا ، عند المقارنة بين فروع حيثية وفروع حيثية أخرى ، المبدأ :

٣←٢←١

أي أن المقولة الثالثية تستلزم الثانوية وهذه بدورها تستلزم الأولية ، كما يقع مع الجهات المساوقة لهذه المقولات ، أعني :

الضرورة ← الوجود ← الإمكان

نحصل على هذه التراكيب :

فروع حيثية الوسيلة	فروع حيثية الموضوع
١١	٢١
١٢	٢١
١٢	٢٢
١٣	٢١
١٣	٢٢
١٣	٢٣

هذه العلاقات الستة تشير إلى أن العلامة الكيفية (١١) لا يمكن أن تكون بالنسبة إلى الموضوع إلا أيقونية (٢١) ، وأن العلامة العينية (١٢) قد تكون أيقونية (٢١) وقد تكون شاهدية (٢٢) أيضاً . أما العلامة القانونية (١٣) فقد تكون أيقونة (٢١) أو شاهداً (٢٢) أو رمزاً (٢٣) كذلك .

٣ ـ ٣ نسبة العلامة إلى التعبير :

بالنسبة إلى التعبير يميّز بيرس أيضاً ثلاثة فروع ، يستعير لها المصطلحات من المنطق التقليدي . وهذه الفروع يسميها على التوالي Rhema و dicent و argument.

يقابل مصطلح الـ Rhema حرفياً في المنطق عند العرب لفظة

« مفردة » . لكن ، بما أن بيرس يستعمله بمعنى أعم يشمل المفردة وكل مركب ناقص من المفردات ، فإن لفظة « التصور » ، الشائعة أيضاً في المنطق العربي ، تنطبق تماماً على هذا المصطلح . فالتصور أي الـ Rhema إذن يعني في هذا المجال كل علامة مفردة أو مركبة لا تصلح لأن تكون حكماً بل فقط حدّاً في الحكم . وهي بالتالي لا تحتمل لا الصدق ولا الكذب . من هذا القبيل المحمولات البسيطة مثل « أسمر » والمحمولات المركبة مثل « طويل الشعر » والإستعارات مثل « أسد » بدل « سمير » ، والعيّنات والعناصر الزخرفية والهيكليات الخ ...

أما كلمة dicent التي تعني حرفياً : القول ، فإنها تختص عملياً بقسم من القول الذي هو تام ، ولا تنطوي على القول المسمى بالناقص ، الذي يندرج تحت مفهوم الـ Rhema . لذلك سوف نصطلح على تسميتها بالعربية بلفظة « التصديق » الموافقة لها على مستوى المعاني والمقابلة للتصُوّر في المنطق العربي . يحدد بيرس الـ dicent أي التصديق بأنه علامة « قابلة للحكم » أي أنها تقبل الصدق أو الكذب . وهي بهذا المعنى مركب لا يحتاج إلى الزيادة ، أو كما يقول مناطقة العرب : « مركب يصح السكوت عليه » . خارج اللغة حيث التصديق يتحقق كما هو واضح في القضية ، نجد في مجال الهندسة المعمارية مثالاً للتصديق في واجهة البناية ، إذ أن الواجهة تؤلف وحدة مغلقة تامة يمكن أن يُحكم فيها بالسلب أم بالإيجاب.

وأخيراً ، الحجّة argument هي تأليف من العلامات لا يتعلق سوى بالقواعد ، وهي أكمل سائر العلامات . من وجهة البنية تُعتبر الحجة صحيحة أي دائمة الصدق . هكذا مثلاً تنتمي إلى الحجج الأقيسة المنطقية ، نحو :

أ هو ب

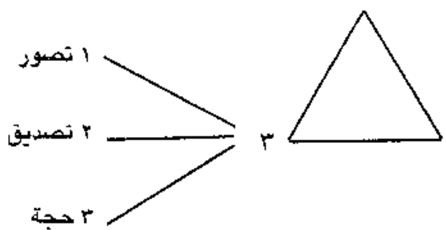
ب هو ج

―――――

أ هو ج

وكذلك الأشكال الشعرية كالموشحات وغيرها . فما يخص هذا الفرع من التعبير ، يستحيل أن تكون النسبة إلى الموضوع إلا رمزية ، وبالطبع لا تكون عندها الوسيلة المستعملة سوى علامة قانونية legi-sign . فالحجة إذن هي تأليف بالوضع يتطلب دلالة وضعية.

مما سبق ، يتضح ان كل واحد من فروع العلامة بالنسبة إلى التعبير ، أي التصور والتصديق والحجة ، يتمثل على التوالي بالأزواج الآتية : (٣١) ، (٣٢) و (٣٣) :



كما تم لنا فيما يخص فروع حيثية الوسيلة وفروع حيثية الموضوع ، يمكن أيضاً الحصول على التراكيب التالية بين فروع حيثية الموضوع وفروع حيثية التعبير ، بعد تحقيق الشروط التي سبق ذكرها :

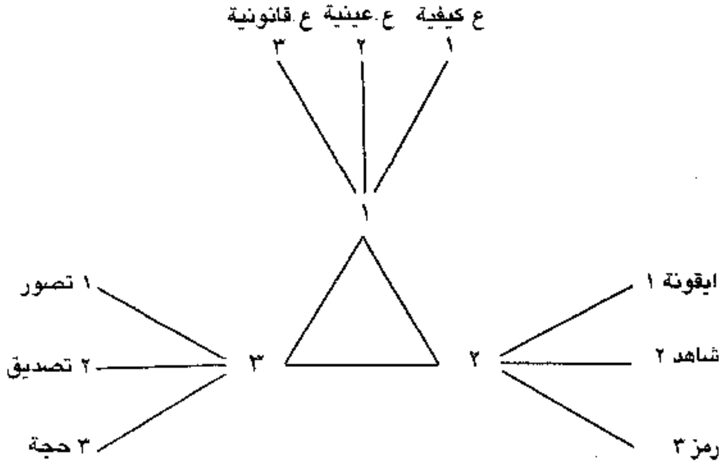
فروع حيثية الموضوع	فروع حيثية الوسيلة
٢١	٣١
٢٢	٣١
٢٢	٣٢
٢٣	٣١
٢٣	٣٢
٢٣	٣٣

وعليه ، لا يصح التعبير عن الأيقونة إلا بطريقة تصورية ، بينما التعبير عن الشاهد يجوز أن يتحقق تصوُّرياً أو تصديقياً . وأما التعبير عن الرمز فإنه يمكن أن يجمع بين التصوّر والتصديق والحجّة .

٤ ـ أصناف العلامات Classes of Signs

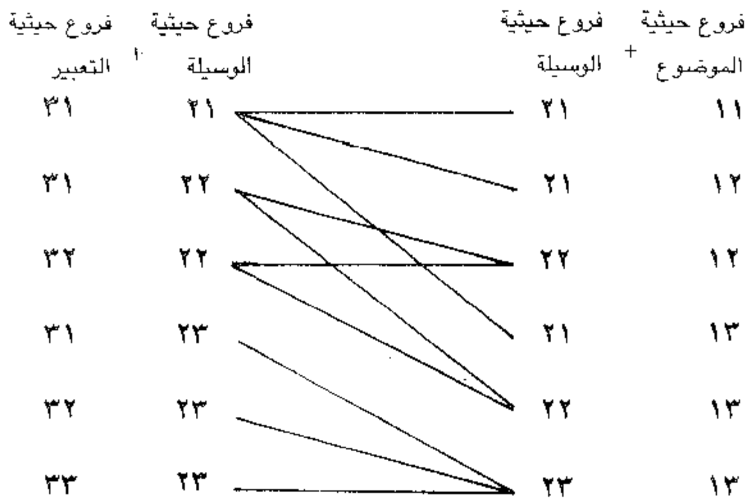
إن تصنيف العلامات عند بيرس لا يعتمد على إحصاء العلامات المسماة في لغة ما أو على الخصائص الخارجية ، بل ينطلق من قوام الكائنات نفسها .

كما اتضح لنا ، تتركب كل علامة من ثلاثية triade من الحيثيات . ولما كانت كل حيثية تحتمل بدورها تثليثاً من الفروع trichotomie بحيث ان مجمل العلامات التحتية sub- sign هو :



فإننا بالتالي نعني مع بيرس بصنف العلامة كل مركب من ثلاث علامات تحتية كل واحدة منها تنتسب إلى حيثية مختلفة . فهكذا مثلاً يشكل المركب من علامة عينية وأيقونة وتصوّر صنف علامة .

من الوجهة الرياضية البحتة يمكن الحصول على ٣^٣ = ٢٧ مركب . لكن بسبب الشروط الموضوعة من ترتيب الحيثيات واستلزام الفروع بعضها لبعض اي : ٣ ← ٢ ← ١ ، تنحصر الاصناف بعشرة فقط . للحصول على هذه الاصناف ، يمكن الجمع بين قائمتي المركبات من فروع العلامة بالنسبة إلى الوسيلة والموضوع من جهة ، ومن فروع العلامة بالنسبة إلى الموضوع والتعبير من جهة أخرى ، مع توحيد فقط ما هو مشترك من فروع العلامة بالنسبة إلى الموضوع على هذا النحو :



فتتأتى لنا أصناف العلامات الآتية بترتيبها وأسمائها كما وردت عند بيرس ، وهي :

I	٣١ـ٢١ـ١١	علامة تصورية أيقونية كيفية
II	٣١ـ٢١ـ١٢	علامة تصورية أيقونية عينية
III	٣١ـ٢٢ـ١٢	علامة تصورية شاهدية عينية
IV	٣٢ـ٢٢ـ١٢	علامة تصديقية شاهدية عينية
V	٣١ـ٢١ـ١٣	علامة تصورية ايقونية قانونية
VI	٣١ـ٢٢ـ١٣	علامة تصورية شاهدية قانونية
VII	٣٢ـ٢٢ـ١٣	علامة تصديقية شاهدية قانونية
VIII	٣١ـ٢٣ـ١٣	علامة تصورية رمـزية قانونية
IX	٣٢ـ٢٣ـ١٣	علامة تصديقية رمـزية قانونية
X	٣٣ـ٢٣ـ١٣	علامة حـجـيـة رمـزية قانونية

من المـلاحظ ان تسلسل أسماء العلامـات التحتية وبـالتالي تسلسـل أزواج الأرقام يتبـع الترتيب الآتي للحيثيـات : التعبير ـ الوسيلة ـ الموضوع ، وهو ترتيب معاكس لما جرينا عليه سابقاً .

لكن هذا لا يضير ، إذ أن المركّبات ، تبقى هي ذاتها إذا قلبنا ترتيب الأزواج .

حتى لا نبقى على مستوى التعميم ، سنشرح كل واحد من هذه الأصناف بالتفصيل :

I العلامة التصوّرية الأيقونية الكيفية :

الثلاثية (٣١ ـ ٢١ ـ ١١) تسند العلامة الكيفية إلى أيقونة بالنسبة إلى الموضوع ، وإلى تصور بالنسبة إلى التعبير . وبالفعل فـالعلامـة الكيفية ، كـاللون الأحمـر مثلاً ، لا يمكن ان تـدل على موضوعها إلا لشبه ما وبالتالي لا يمكن أن تكون إلا أيقونية . وفوق ذلك ، بما أن الكيفية هي إمكانية بحتة ، فهي لا تستطيع أن تكون إلا علامة على الماهية أي تصوراً .

II العلامة التصوّرية الأيقونية العينية :

هذا الصنف هو شيء أو حدث من التجربة ، يدل على موضوعه من بعض كيفياته . لذلك ، أي لكونه أيقوني ، فهو لا يمكن إلا أن يكون تصوّرياً . مثال ذلـك تخطيط diagram فردي مـا ، كتخطيط حرارة مريض معين .

III العلامة التصوّرية الشاهدية العينية :

هي شيء أو حدث من التجربة المباشرة ، يدل على موضوعه لعليّة ما بينهما ، مثل الصرخة الفجائية التي تنم عن ألم أو فرح الخ ...

IV العلامة التصديقية الشاهدية العينية:

هي شيء أو حدث من التجربة المباشرة، يخبر، بقدر ما هو علامة عن موضوعه الذي هو واقع حالي. وهذا بالطبع لا يمكن أن يحصل إلا إذا كان الشيء أو الحدث متأثراً بالموضوع . مثال ذلك دوّار أو ميزان الريح الذي يخبر بوضعه الحالي عن اتجاه الريـح الفعلي .

V العلامة التصوّرية الأيقونية القانونية :

هي قانون عام أو نمط ، كل واحد من تحققاته الفردية يمتلك كيفيات تخوله أن يثير في ذهن المعبّر interpret صورة عن موضوعه . من هذا القبيل التخطيط العام الذي لا يتعلق بحالة فردية معينة ، بل ينطبق على سائر الحالات المتشابهة مثل التخطيط العام للحرارة الناجمة عن الحصبة .

VI العلامة التصوّرية الشاهدية القانونية :

هي قانون عام أو نمط ، كل واحد من تحققاته الفردية مرتبط أو متأثر بموضوعه ، بشكل انه يوجه الإنتباه إلى هذا الموضوع . مثال هذه العلامة الضمائر وأسماء الإشارة .

VII العلامة التصديقية الشاهدية القانونية :

هي قانون عام أو نمط ، يفيد خبراً ما عن موضوعه ويدفع المعبّر إلى العمل أو الأخذ بالقرار . من أنواع ذلك إشارات السير والأوامر الخ ...

VIII العلامة التصورية الرمزية القانونية :

هي علامة مرتبطة بموضوعها بواسطة اقتران المعاني الكلية general ideas . فكل إسم عام مثل « بيت » أو « شجرة » هو من هذا الصنف .

IX العلامة التصديقية الرمزية القانونية :

هي علامة ترتبط بموضوعها بواسطة اقتران المعاني الكلية ، كي تفيد خبراً عن هذا الموضوع . مثالها : القضايا المعهودة نحو « الوردة حمراء » و « الفلاسفة مجتهدون » الخ ...

X العلامة الحجية الرمزية القانونية :

هي علامة مؤلفة من مركب تام وقياسي من العلامات . خلافاً للعلامة السابقة ، لا يجري فيها تحديد الموضوع ، بل تحديد التركيب الحاصل بين العلامات التي تخبر عن الموضوع (أي العلامات التصديقية الرمزية القانونية) . هذا النوع من العلامات الحجية هو دائم الصدق أي صحيح . مثالها : الأقيسة والبراهين المنطقية ، الأشكال الشعرية الخ ...

لإبراز التقارب بين هذه الأصناف ، يرتبها بيرس في جدول على شكل المثلث التالي :

X علامة حجية رمزية قانونية	VIII علامة تصورية رمزية قانونية	V علامة تصورية ايقونية قانونية	I علامة تصورية ايقونية كيفية
	IX علامة تصديقية رمزية قانونية	VI علامة تصورية شاهدية قانونية	II علامة تصورية ايقونية عينية
		VII علامة تصديقية شاهدية قانونية	III علامة تصورية شاهدية عينية
			IV علامة تصديقية شاهدية عينية

****

IV

الطرح السلوكي للسيمياء

مع ظهور كُتَيِّب تشارلز مورس Ch. W. Morris « أسس نظرية العلامات » « Foundations of the theory of Signs » سنة ١٩٣٨ ، تلقت السيمياء ، دفعاً جديداً نحو التوسع والترسخ . أمام تعدد المقاربات السيميائية ، أراد المؤلف أن يقيم بنية نظرية بسيطة تجمع بين هذه المقاربات ، وتوحِّد ليس بين العلوم الانسانية فحسب ، بل بين كل العلوم . وقد اعتمد لذلك على منهج يوفق بين المذهب الذرائعي الاميركي والتجريبية المنطقية الألمانية . في كتابه « العلامات واللغة والسلوك » « Signs, Language and Behavior » الصادر سنة ١٩٤٦ ، يحاول المؤلف تفصيل المفاهيم السابقة والتدقيق فيها ، متوسلاً نظريات سلوكية أكثر منهجية وتطوراً ، تتيح له أن يتلافى الإشكالات الناجمة عن التفسير السلوكي الساذج . وأخيراً في كتاب « المعنى والمغزى » « Signification and Significance » (١٩٦٤) ، انطلاقاً من مفهوم العلامة ، يتطرق مورس إلى البحث في موضوعات مستجدة في الفلسفة وعلوم اللسان والقيم والجمال الخ.

نعرض في هذا الفصل طرح مورس للسيمياء ، آخذين بعين الاعتبار المراحل التي مر بها .

١ ـ العلامة والتسويم

يستعمل موريس كلمة « علامة » بالمعنى الشائع ، أي المعنى الذي يميّزه بيرس بلفظ « العلامة بحد ذاتها » والذي يختص بالدال فقط . وبما أن العلامة بهذا المفهوم لا تقوم إلا ضمن عملية الدلالة signprocess أي التسويم semiosis ، ينطلق موريس من تعـريف هذه العملية .

في كتاب « أسس نظرية العلامات » يتضمن التسويم بشكـل رئيسي ثلاثة عناصر[١] : ما يقوم بـدور العلامـة ويسمى « حامـل العلامة » sign vehicle ، مـا تدل عليـه العلامـة أي « المدلـول » designatum ، والأثر الذي يَحدُث في المتلقي للعلامـة ، ويسميه موريس نقلاً عن بيرس « التعبير » interpretant . عـلاوة على ذلك يمكن إضافة عنصر رابع في عملية التدليل أو التسويم وهو الكائن العضوي الذي يصدر عنه التعبير أي المُعبِّر interpreter . هكـذا مثلاً في رحلة صيد ، إذ يطارد الكلب الطريدة عند سماعه صفير أو صوت معلمه ، يشكل الصفير حامل العلامة ، والاصطياد المدلول ، وسلوك الكلب في التماس الطريدة التعبير ، والكلب ذاته المعبّـر . كذلك ، حينما يتلقى مسافر من صديق رسالة تصف له المنطقة التي يريد السفر إليها ، تكون الرسالة حاملَ العلامة ، والمنطقة المدلول ، ويكون المسافر المعبّر ، وتهيؤه لتصرف يتلاءم والمنطقة التعبير.

استناداً إلى قائمة عناصر التسويم المذكورة ، يقترح موريس التعريف الآتي للعلامة :

« **ع** هي علامة على المدلول **م** بالنسبة للتعبير **ت** ، بقدر ما يأخذ **ت** بالاعتبار **م** بمقتضى حضور **ع** »[٢] .

---

(١) راجع : صص ٣ ـ ٤ .
(٢) المرجع ذاته ، ص ٤ .

في التسويم إذن ثمة شيء يأخذ بالاعتبار شيئاً آخر بطريقة غير مباشرة ، أي بواسطة شيء ثالث . وبالتالي يكون التسويم أخذاً بالاعتبار بالتوسط a mediated- taking- account- of . فالوسيط هو حامل العلامة ، والأخذ بالاعتبار هو التعبير ، والقائم بالعملية هو المعبِّر ، وما يُؤخَذ بالاعتبار هو المدلول.

يجب لفت النظر إلى أن مفاهيم العلامة والمدلول والتعبير والمعبِّر يتعلق بعضها بالبعض. فشيء ما لا يكون علامة إلا إذا فُهِم من معبِّر ما على انه علامة لشيء آخر . والأخذ بالاعتبار لأمر ما هو تعبير ليس إلا لكونه يلزم عن أمر ما يقوم بدور العلامة . والمعبِّر هو كذلك لأنه فقط يأخذ باعتباره أمراً ما بتوسط العلامة . وبالتالي ، كون الشيء علامة أو مدلولاً أو تعبيراً أو معبراً هو من الخصائص المتضايفة ، التي تعود إليه لمشاركته في عملية التسويم فحسب . وعليه ، لا تنحصر هذه المفاهيم بمجالات محددة من الموضوعات الخارجية ، بل يمكن أن تنطبق على أي نوع من الموضوعات ، شرط أن تقوم بينها علاقات من التي سبق وصفها.

إذا كان ، بحسب التعريف ، لا بد لكل علامة من مدلول ما ، فهذا لا يعني أن كل علامة يجب أن ترجع إلى موضوع متحقق الوجود في الخارج . بالطبع لا يمكن أن تقوم مدلولات بمعزل عن عملية التسويم ، لكن يمكن أن توجد موضوعات من دون وجود تسويم . وليس ثمة تناقض في القول ان كل علامة لها مدلول ولكن ليس كل علامة تُحيل على موجود خارجي . فإن وجد المحال عليه بالفعل ، يُسمي موريس عندها موضوع الإحالة « المرجع » أو « المرجوع إليه » denotatum . والفرق بين المدلول والمرجوع إليه ، هو ان المدلول ليس بشيء بل هو صنف class أو مجموعة من الأشياء ، أما المرجوع إليه فهو كل عنصر من عناصر المجموعة ، وقد تنطوي المجموعة على عناصر كثيرة أو عنصر واحد أو لا عنصر

البتة . هذا ما يفسر مثلاً سلوك انسان يتأهب للعيش في جزيرة لم توجد قط أو اختفت في قاع البحر منذ أمد طويل.

أمام بعض الاعتراضات والصعوبات التي واجهها التفسير السلوكي البسيط لمفهوم العلامة ، حاول موريس أن يقيم هذا المفهوم على أساس سلوكي أكثر منهجية مستعيناً بالأبحاث المتطورة في هذا الميدان ، وخصوصاً بنظرية أزجود Osgood ، مبتعداً بذلك عن سلوكية واطسن Watson القديمة . ففي كتاب « العلامات واللغة والسلوك » « Signs, Language and Behavior » ، تجنباً لاستخدام مفاهيم ذهنية كالعقل والفكر ، يطرح موريس قائمة من الشروط التي يجب أن تتحقق في شيء ما ، حتى يصح اعتباره علامة . بنوع عام ، لا بد لهذه الشروط أن ترتكز على احداث قابلة للملاحظة . وعليه ، يصبح تعريف العلامة كما يلي :

« إذا كان شيء ما أ ، عند غياب الموضوع المثير الذي يبعث على متتابعات من الاستجابات من أسرة سلوكية معينة ، مثيراً تحضيرياً يُحدث في جهاز عضوي ما تهيؤا لأن يرد عند تحقق شروط معينة بمتتابعات من الاستجابات من الأسرة نفسها ، فعندها يكون أ علامة »[1].

بالطبع، معظم المفاهيم الواردة في هذا التعريف هي مقتبسة من المذهب السلوكي . فالمثير التحضيري هو مثير يؤثر ويعدل في استجابة مثير آخر ، هكذا مثلاً تزداد قفزة الفئران ارتفاعاً عند صدمة كهربائية إذا ما سبقها صوت الجرس على أنه مثير تحضيري . والتهيؤ للاستجابة disposition to respond هو حالة يوجد فيها الكائن العضوي في ظرف ما بحيث انه عند حصول شروط إضافية تتحقق الاستجابة المناسبة ؛ مثال ذلك حال الكلب الذي

---

(١) ص ١٠ .

يستعد للأكل عند سماعه إشارة معهودة لهذا الغرض . أما أسرة الاستجابات فهي فئة من متتابعات استجابات تنجم عن موضوعات مثيرة متجانسة وتنتهي عند هذه الموضوعات.

بواسطة التعريف المذكور ، استطاع موريس أن يتجاوز المفهوم السلوكي الساذج للعلامة ، الذي كان ينطلق من أن العلامة هي مثيرات مباشرة تستدعي استجابات شبيهة بالاستجابات الناجمة عن الموضوعات التي تدل عليها العلامات . وهذا ما أتاح له أن يتخلص من مشكلة تفسير التباين الحاصل بين الاستجابة للعلامة الدالة على شيء ما والاستجابة لهذا الشيء نفسه . إذ انه مثلا ، قد تختلف ردة فعل التلامذة تجاه لفظة « المعلم » والمعلم ذاته .

على ضوء المفهوم الجديد ، يعيد موريس تعريف المصطلحات الأساسية التي تدخل في عملية التسويم . فالكائن العضوي الذي يعتبر شيئاً ما بمثابة علامة يسمى « معبِّراً » ، وتهيؤه للرد بمتتابعة من الاستجابات من أسرة سلوكية معينة يسمى « تعبيراً » ، والأمر الذي يجعل ممكناً انجاز المتتابعة من الاستجابات يسمى « المرجع » أو « المرجوع إليه » denotatum . أما الشروط التي يجب تحققها لتسمية شيء ما « مرجعاً » ، فيطلق عليه موريس بدلاً من مصطلح الـ designatum ، الذي ترجمناه بالمدلول ، اسم الـ significatum أي ما يمكن تخصيصه بكلمة « معنى » . فالعلامة تعني أو تقصد معنى.

بالاضافة إلى ذلك يميز موريس بين حامل العلامة sign vehicle وهو الحاصل المادي العيني الذي يقوم بدور العلامة ، وأسرة العلامة sign family وهي سلسلة أو مجموعة من حوامل العلامة تنطوي على المعنى نفسه بالنسبة للمعبِّر.

إليك توضيحاً لهذه المصطلحات بالنسبة للمثل الآتي : عابر سبيل يوقف أحد سائقي السيارات وينبهه إلى أنه على مسافة ما ثمة

جرف ترابي يسد الشارع ، إثرَ ذلك يستدير السائق باتجاه طريق آخر . فالسائق هو المُعَبِّر ،والكلمات التي وجهها له عابر السبيل هي حامل العلامة ، والـواقع بـأن الشارع مسـدود بجرف ترابي هو المرجوع إليه ، وفي حال كذب عابر السبيل يشكل المقصود المزعوم مجرد معنى significatum ، وما يثيره هذا المعنى في المعبـر من ترقب واستدارة هو التعبير .

في الكتاب الأخير « المعنى والمغزى » ينظر مورس إلى عملية الدلالة أو التسويم (سو) على أنها علاقـة (حا) خمـاسية بين الحدود : ع ، م ، ت ، ن ، ق :

سو ⇐ حا (ع، م، ت، ن، ق)

حيث ع تُحـدِث في م تهيؤاً للاستجـابة بطـريقة مـا ت إلى نوع معين ن من الموضوعات ، عند توفر شروط ما ق . ففي حال وقوع هذه العلاقة ، تكون ع العلامة ، و م المعبِّـر ، و ت التعبير ، و ن المعنى ، و ق السياق context . ففي مَثَل النحلة التي تجد الرحيق وتعود إلى القفير ، لترقص بطريقة تُرشد بقية النحـل إلى مصدر الغذاء ، يشكل الرقص العلامـة ، وبقية النحـل المتأثـر بالـرقص المعبِّـرين ، وتهيؤه للاستجـابة على نحـو ما بسبب الـرقص هـو التعبير ، ونوعية الشيء الذي يستعد النحل أن يقوم بفعل ما تجاهه هو المعنى ، و وضع القفير هو جزء من السياق الحالي .

مما يُلفت الانتباه في التعريف الجديد للتسويم هو أن المعبِّر والتعبير يدخلان فيه كحدين منفصلين . كما أن مفهوم السياق يظهر لأول مرة ضمن عملية الدلالة ، مما يتيح التطرق ، ولو بصورة غير مباشرة ، للبعد المبنوي للعلامات ، إذ أن السياق الذي تظهـر فيه العلامة قد يحتوي على علامات أخرى . ناهيك عن أن مفهوم السياق بحد ذاته هو تتمة مهمة لسائر العناصر ، بل إن له قوام خاص من حيث أنه ينطوي عليها جميعاً .

٢ ـ مستويات التسويم

لا ريب أن الجـزء الأهم والأنجح من نظـرية العـلامات عنـد موريس هو الذي يجري فيه التمييز بين ثلاثة مستويات سيميائية يشكل كل واحد منها فرعاً خاصاً ومحدداً من علم السيمياء.

انطلاقاً من الموضوعات الرئيسية لعلاقة التسويم أي حـامل العلامة والمدلول والمعبِّر، يحاول موريس أن ينتزع ثلاث علاقـات ثنائية أخرى.

فالعلاقة القائمة بين العلامـة والموضـوع الذي تنطبق عليـه العلامة يشكل المستوى الـدلالي semantical للتسويم . وبـالتالي يسمى المجـال الذي يبحث في هـذا المستـوى « علم الـدلالـة » Semantics.

والعـلاقة بين العـلامة والمعبِّر تشكـل المستـوى التـداولي Pragmatical للعـلامة . وعليـه يسمى العلم الذي يبحث في هـذا المستوى « علم التداول » Pragmatics.

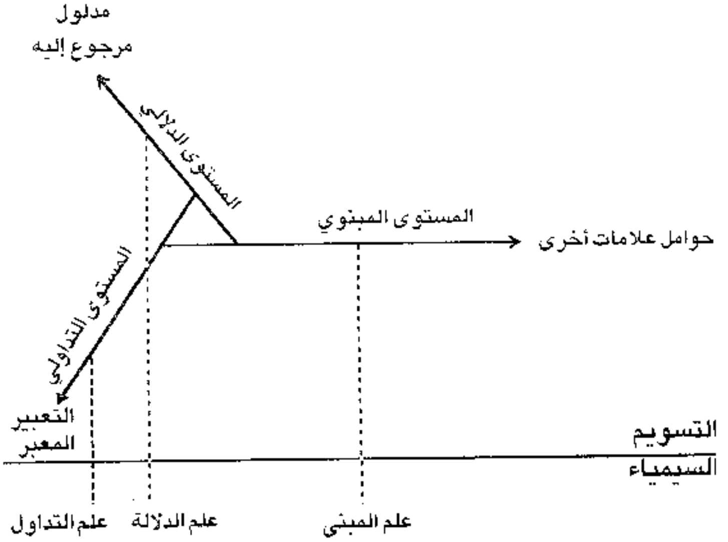
وأخيـراً يحصي موريس العـلاقة الصـورية التي تحصـل بين العلامات نفسها ، كعلاقة الكلمات بعضهـا ببعض داخل الجملـة . والحال أنه ، من مجرد تعريف التسويم كما يرد في كتاب « أسس نظرية العلامات »[١] ، يستحيل على موريس أن ينتزع هذه العلاقة . إذ أن هذا التعريف ، الذي يأخذ بعين الاعتبار الاستعمال الشائع لمفهوم العلامة ، لا يمنع من إمكانية وجود علامة منفردة خارجة عن أي نسق من العلامات . لكن ، بما أنه من الناحية التجريبية يصعب وجود مثل هذه العلامات الفردية التي لا ترتبط بأية علاقة مع علامات أخرى من أي نوع كانت ، كان لابد من إقامة مستوى ثالث للتسويم

---

(١) راجع : صص ٦ ـ ٧ .

يقوم على علاقة العلامات بعضها ببعض . هـذا المستوى يسمى « المستوى النحوي » أو أيضاً « المستوى المبنوي » syntactical للتسويم ، والبحث فيه يسمى « علم المبنى » Syntactics .

التفريع المذكور يجمله مورس بالتصميم الآتي:



للدلالة على العلاقات القائمة على المستويات الثلاثة ، يقترح مورس المصطلحات التالية، فعلى المستوى المبنوي يُقال للعلامات أن بعضها يستلزم [١] الآخر implicates . وعلى المستوى الدلالي ، يُقـال أنه تـدل على ... designates، وتَـرجـع إلى أو تُحيـل على

---

(١) لاحِظ أن كلمة « استلزم » ، التي تستعمل عادة كرديفتها الانكليـزية implicates بمعنى مهمل يشمل كل المستويات ، يقتصر استعمالها هنا على المستوى المبنوي . وهي توافق ما خصصناه في مؤلفاتنا السابقة بالاشتقاق والاستنباط .

denotes . وعلى المستوى التداولي بأنها تعبر عن ... expresses . فهكذا مثلاً كلمة « طائر » تستلزم قولنا « حيوان ذو أجنحة ... » ، وتدل على النوع الذي هو الحيوان المعروف ، وترجع إلى الأفراد التي تنطبق عليها ، وتعبِّر عن المعبر الذي يتلقى الكلمة .

١ ـ ٢ علم المبنى Syntactics :

إن علم المبنى ، من حيث هو « دراسة العلاقة المبنوية القائمة بين العلامات ذاتها ، بغض النظر عن علاقات العلامات إلى الموضوعات أو إلى المعبِّرين »[١] كان ومازال أكثر فروع السيمياء تطوراً ورسوخاً . وذلك يعود ، كما يشرح مورس ، إلى اهتمام مفكري الاغريق من مناطقة وعلماء هندسة بالاستدلال وبالنسق الاستنباطي . فمثل هذه الأبحاث كان لابد لها أن تؤدي إلى دراسة العلاقات بين تراكيب محددة من العلامات داخل اللغة . ولا ريب أن لايبنتز هو أول من استطاع أن يصل ، إنطلاقاً من اعتبارات لسانية ومنطقية ورياضية ، إلى تصور منهج صوري عام يُعنى بتركيب العلامات واستنباط بعضها من البعض الآخر . وقد لقي هذا المنهج امتداداً واسعاً في المنطق الرمزي الحديث بفضل جهود بول وفريجه وبيانو وبيرس وراسل ، بحيث أنه مع المبنى المنطقي لكارناب بلغت نظرية العلاقات المبنوية أعلى درجة من الإحكام والاتقان.

إن المبنى المنطقي logical syntax يُهمِل كلياً ما أسميناهما بالمستوين الدلالي والتداولي للتسويم، ليحصر شغله في البنية المنطقية النحوية logico-grammatical ، أي في مبنى عملية التسويم . بحسب هذه النظرة تصبح اللغة أية مجموعة من العناصر يرتبط بعضها ببعض استناداً لصنفين من القواعد ، هما : قواعد الصياغة ، وهي تحدد التراكيب الجائزة من عناصر المجموعة ،

---

(١) انظر : المرجع ذاته ، ص ١٣ .

أعني القضايا . وقواعد التحويل ، وهي تحدد القضايا التي يمكن استنباطها من قضايا أخرى.

بالرغم من الأهمية التي تُعزى إلى المبنى المنطقي ، فلا يمكن مساواته بعلم المبنى ككل . إذ أنه يقصر أبحاثه النحوية على نمط من التراكيب المتعارف عليها في العلوم الجازمة ، ويغض النظر إجمالاً عن سائر التراكيب الانشائية كجمل الأمر والتمني والعقود الخ . لذلك كان من مهمة علم المبنى أن يؤدي حساباً عن كل التراكيب المستعملة في اللغات العادية . هذا بالفعل مَا أنجزه تشومسكي في النحو التوليدي والتحويلي متبنياً صنفي القواعد التي وضعهما كارناب ، أي قواعد الصياغة وقواعد التحويل.

بالاضافة الى ذلك ، يشدد مورس على أنه لابد لعلم المبنى بالمعنى الشامل أن يعالج أنماط التراكيب غير اللفظية ، كالتراكيب الداخلة في مجال الفنون التشكيلية وغيرها.

إلا أن مشروع مورس لإقامة علم المبنى العام يبقى ناقصاً ، ذلك أن هذا العلم يقتصر عنده على المركَّبات . فلا مجال في علم المبنى للبحث في المركَّبات وخصائصها . والحال أن اللسانية الحديثة منذ سوسير وبلومفيلد لم تأل جهداً لاستقصاء هذا المجال فالأبحاث المندرجة تحت علمي الصوتيات phonetics واللفظيات phonologie وجهت اهتمامها لدراسة العلامات اللسانية الفردية : فعلم الصوتيات يتطرق إلى كل حيثيات التحقق المادي للعلامات ، وعلم اللفظيات يحاول تعيين وتصنيف العناصر التي تقوم عليها الألفاظ المفردة . وقد أحدثت هذه الدراسات تأثيراً كبيراً على الأبحاث المتعلقة بالعلامات غير اللسانية.

لاشك أن نقصان مثل هذه الفروع ضمن علم المبنى العام عند مورس ، يرجع إلى أن السيمياء منوطة عنده بالسلوك التسويمي ، وبالتالي منوطة بالنص الظاهر في هذا السلوك ، وليس باللفظة المفردة خارج الاستعمال الدلالي ، كما هي الحال عند سوسير .

٢ ـ ٢ علم الدلالة :

يعالج علم الدلالة « علاقة العلامات بمدلولاتها ، وعليه بالموضوعات التي ترجع أو يمكن أن ترجع إليها المدلولات »[١] . من الظاهر أن هذه العلاقة هي غير بسيطة ، لأن أول ما تقصده العلامة هو المدلول ، ومن ثم المرجوع إليه إن وجد .

برأي مورس ، أن علم الدلالة ، بالرغم من الوعود الكبيرة التي قدمتها محاولات السلوكيين بالنسبة إلى تحديد الشروط الحالية التي بواسطتها يجري استعمال العلامات ، وبالرغم من المساهمات التي شاركت بها محاججات المناطقة أمثال كارناب ورايخنباخ وتارسكي ، لم يستطع بعد أن يبلغ مرتبة الوضوح والمنهجية التي عرفتها بعض أجزاء علم المبنى . ومَرَدّ ذلك إلى أن عرضاً دقيقاً لعلم الدلالة يفترض وجود علم مبنى شديد التطور . فالكلام عن العلاقة بين العلامات والأشياء التي تدل عليها يتطلب سابق تحقق للغة علم المبنى وللغة الشيئية thing-language ، أي اللغة التي تتناول الأشياء . هكذا مثلاً ، في قولنا «« سمير » يدل على أ » ، الذي هو عيّنة من جملة ما في لغة علم الدلالة ، العلامة « سمير » هي مصطلح من اللغة الفوقية metalanguage يرجع إلى العلامة « سمير » التي هي علامة من اللغة الشيئية . وأما « أ » فهو مصطلح من اللغة الشيئية إلى شيء خارجي . وأما كلمة « يدل على » فهي مصطلح من علم الدلالة ، إذ أنها علامة وصفية دالة على علاقة بين علامة ما وموضوعها . وبالتالي ، فعلم الدلالة يفترض وجود علم المبنى ، لكنه يتنزه عن علم التداول.

يعتمد علم الدلالة على القواعد الدلالية semantical rule ، فالقاعدة الدلالية هي التي تحدد عند أية شروط يمكن تطبيق العلامة

---

(١) المصدر ذاته ، ص ٢١ .

على شيء object أو حال ما situation . وصياغتها العامة هي كالآتي :

ان حامل العلامة « سـ » هو الذي يدلّ على الشروط أ ، ب ، ج ...التي يصح بها تطبيقه. فإن حقق موضوع أو حال ما الشروط المطلوبة ، يكون عندئذٍ مرجعاً denotatum لـ « سـ » .

بالطبع ، مثل هذه القواعد غير مصرَّح بصياغتها من قبل الذين يستعملون العلامات ، بل انها تجري تلقائياً بمثابة عادات سلوكية ، بحيث أنه يحصل تطبيق بعض العلامات على بعض الحالات فقط .

٣ ـ ٢ علم التداول[١]

هو العلم الذي يتناول بالبحث علاقة العلامات بالمعبِّرين ، أو أيضاً هو « الجزء من السيمياء الذي يهتم بأصل العلامات واستعمالاتها وتأثيراتها على السلوك المختص بذلك »[٢] . وبما أن معظم المعبِّرين عن العلامات ، إن لم يكن كلهم ، هم كائنات حية ، يمكن التعريف عن علم التداول بأنه العلم الذي يعالج كل الظواهر النفسية والبيولوجية والاجتماعية التي ترد في عملية التسويم.

منهجياً ، يفترض علم التداول كلا من علمي المبنى والدلالة ، كما ان هذا الأخير يفترض العلم السابق . ذلك ان البحث في علاقة

---

(١) من الواضح أن مصطلح « pragmatics » الذي ترجمناه بعلم التداول مشتق من كلمة « pragmatism » التي تعني المذهب الذرائعي المعروف في الفلسفة . وتفسير ذلك ، كما يقول موريس ، ان الذرائعية هي اكثر مذهب ركز انتباهه على العلاقة بين العلامة والذين يستعملونها ، وأكد على أهمية هذه العلاقة في فهم النشاط الذهني . مع ذلك ، من حيث ان « pragmatics » هو مصطلح خاص بالسيمياء ، يجب عدم الخلط بينه وبين « pragmatism » وبالتالي ، يجب أيضاً التمييز بين الصفتين المضافتين إلى كل منهما ، وهما pragmatical أي التداولي و pragmatic أي الذرائعي .

(٢) Signs, Language and Behavior, p.326.

العلامات بالذين يستعملونها يتطلب معرفة علاقة العلامات بعضها ببعض وعلاقتها بالاشياء التي ترجع إليها.

يرتكز علم التداول على القواعد التداولية pragmatical التي من شأنها أن تضع الشروط التي يجب أن تتوفر في المعبِّرين حتى يصح أن يكون حامل العلامة علامة . بالطبع اية قاعدة تشكل عند الاستعمال نمطاً من السلوك ، وبهذا المعنى يوجد مركّبٌ تداولي في كل القواعد . لكن في بعض اللغات ثمة حوامل للعلامة تخضع لقواعد تداولية خاصة . فعلامات التعجب مثل « آه ! » ، والأوامر مثل « تعال إلى هنا ! » ، والعبارات مثل « صباح الخير » ، وغيرها من الوسائل البيانية لا ترد إلا عند توفر شروط معينة عند مستعملي اللغة . يجوز القول ان العلامات المذكورة تعبِّر عن هذه الشروط ، لكن لا يمكن القول انها ، على مستوى التسويم المستخدمة فيه ، تدل عليها أو ترجع إليها . فتقرير مثل هذه الشروط بالنسبة لعلامات ما ، يشكل ، بقدر ما يستحيل رده لقواعد المبنى والدلالة ، قواعدَ تداولية خاصة بالعلامات المذكورة.

من المصطلحات الأساسية التي يختص بها علم التداول « المعبِّر » ، « التعبير » ، « العرف » أو « الاتفاق » convention عند تطبيقه على العلامات ، « الأخذ بالاعتبار » ، « التحقق » verification ، والفهم . أما المفاهيم الأخرى الخاصة بالسيمياء كالعلامة واللغة والحقيقة أو الصدق والمعرفة فلها كذلك مقوِّمات تداولية.

إن التفريع الثلاثي للسيمياء ، كما تصوره موريس ، هو دون ريب من الطروحات المنهجية التي كان لها تأثير كبير ليس على السيمياء فحسب ، بل على مجالات أخرى.

لكن هذا التصور ما زال يشوبه بعض النقصان والغموض . فعلم المبنى يفتقر إلى أبحاث في مقوِّمات العلامات الفردية ذاتها .

وعلم الـدلالة يحتـاج إلى التمييز فيـه بين قسمين : علم الدلالـة الخارجية وعلم المعنى بالمفهوم الضيق . أما علم التداول ، فمجاله مشتت غير محصور . كذلك من الصعب القبول بالحدود التي رسمها مـورس بين الفروع الثلاثة ، إذ أن العلاقات المبنوية ذاتها لا تخلو من وظيفة تداولية ، كما أن الفصل بين علم الدلالة وعلم التداول لا يمكن الأخذ به في معظم الحالات .

٣ ـ تصنيف العلامات

في كتاب « أسس نظرية العلامات »[١] ، يميز مورس أصنافاً متنوعة من العلامات ، متأثراً بمصطلحات بيرس.

من جهة ، يميّز المؤلف بين ثلاثة أنماط من العـلامات هي : الشـاهد أو أيضـاً العلامـة الشاهـدية indexical sign ، العـلامة الوصفية characterizing والعلامة الشاملة أو الكليـة universal ، معتمداً لذلـك على مدى استلـزام كل نمط لتـوقعات expectation مخصوصة ، أو بتعبير ما صدقي على كمية الافراد المندرجة تحت مفهوم العلامة . فالشاهد هو العلامة التي تشير إلى موضوع فردي كما في قولنـا « هذا » عند الاشارة بالاصبع إلى فرد معين . مثل هذه العلامة تثير العدد الأقل من التـوقعات التي تخص أوصـاف الشيء . والعلامة الشاملة هي التي ترجع إلى كل شيء مثل عبارات « أمر ما » و « الشيء » و « الموجود » ، وهي بالتالي لا تحمل على توقعات مخصوصة . أما العلامة الوصفية فهي التي تحيل على أمور كثيرة مثل لفظة « حيوان » أو « حصـان » . هذه العـلامة تُحدِث مجمـوعات معينـة من الاستجابـات . وبالطبـع ، قد يختلف مدى التوقعات بين الألفاظ الوصفية بحسب تدرجها في التجريد ، فكلمة

---

(١) راجع صص ١٧ ـ ...

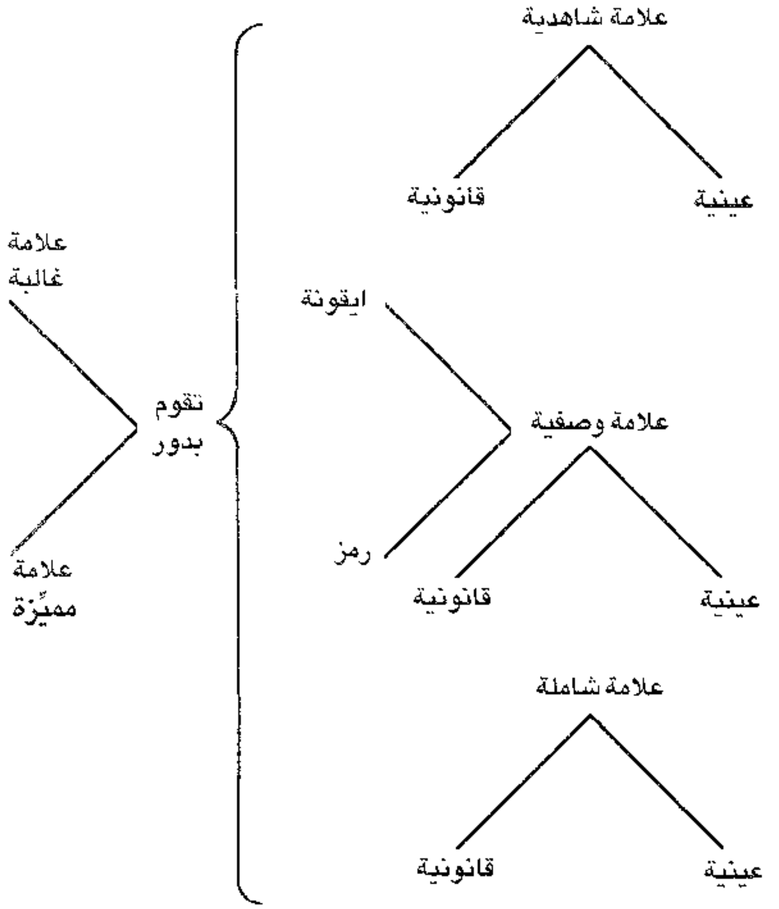
« حصان » مثلاً تثير توقعات أكثر مما تثيره كلمة « حيوان ».

إذا كانت العلامة الوصفية تمتلك في ذاتها بعض خواص الشيء الذي ترجع إليه ، تُسَمى « أيقونة » icon ، وإلا فهي الرمز symbol . هكذا مثلاً ، الصورة الفوتوغرافية والخارطة الفلكية والرسوم البيانية الكيميائية هي من باب الايقونات . أما كلمة « صورة » وأسماء الأفلاك والعناصر الكيميائية فهي من باب الرموز .

على كل واحد من أنماط العلامة الثلاثة ، أي الشاهد والعلامة الوصفية والعلامة الشاملة ، يُجري مورس بدوره تفريع بيرس الثنائي إلى علامة عينية sinsign وعلامة قانونية legisign . فالعلامة العينية هي أمر مخصوص فردي يقوم مرة واحدة بدور العلامة ، مثال ذلك كتابة كلمة « بيت » كما ترد في هذا السطر وبهذا النوع من الخط ، بينما الشكل المشترك الذي يجعل من الكلمة المذكورة كلمةً واحدةً مهما تنوعت لفظاً وكتابةً فهو العلامة القانونية.

من جهة ثانية ، وفقاً لمعيار آخر ، يصنف مورس العلامات فئتين : العلامات الغالبة dominant والعلامات المميّزة specifier . مع العلم ان كل فئة هي غير مطلقة بل تتعين بالقياس إلى الفئة الأخرى . فما هو علامة غالبة بالنسبة إلى بعض العلامات المميّزة ، قد يكون بدوره علامة مميزة بالنسبة إلى علامة غالبه أعم منه . هكذا مثلاً ، تجعل كلمة « أبيض » مدلول « الحصان » أكثر خصوصية ، بينما كلمة « حصان » قد تكون علامة مميِّزة بالنسبة إلى « حيوان » . كذلك يتعلق تعيين فئة العلامة بالظروف الراهنة ، فإن كانت عادةً لفظة « حصان » في الجملة « هذا الحصان يركض » تشكل العلامة الغالبة ، ففي حال وجود عدة أحصنة ، أحدهم فقط يركض ، يكون الفعل « يركض » هو العلامة الغالبة.

كل هذه التصنيفات التي يوردها مورس ، يمكن إجمالها بالتصميم الآتي :



٤ ـ ضروب المعاني وطرق استعمال العلامات

من المتعارف عليه ان العلامات تختلف فيما بينها بنوعية المعاني التي تحتملها . والدليل على ذلك التباين بين نوعية معاني الكلمات مثل « أسود » و « حبّذا » و « ينبغي ».

يميز مورس أربعة ضروب من المعاني ، ثلاثة منها يعتبرها

أساسية ، هي : المعنى التبييني designative ، المعنى التقديري أو الاعتباري appraisive والمعنى الطَلَبي prescriptive . هكذا مثلاً ، قولنا « فوق التلة بيت » يبيّن واقعاً ما ، وقولنا « ما أجمل هذه الفتاة ! » ينم عن تقدير للفتاة ، بينما الأمر « إذهب عني ! » يتطلب من المعَبِّر أن يقوم بفعلٍ ما .

أما الضرب الرابع من المعاني فهو ما يطلق عليه موريس في كتابه « العلامات واللغة والسلوك » اسم « المعنى النظْمي » Formative signification . بهذا المعنى تختص العلامات المنطقية والنحوية أمثال « ليس » ، « أو » « إذا ...فـ » ، الأقواس ، التنوين في ظرف الحال كقولنا « سريعاً » الخ .

في كتاب « المعنى والمغزى » ، يقترح موريس تفسير ضروب المعنى الرئيسية على ضوء الأطوار الثلاثة للفعل ، كما ترد في تحليل جورج ميد G. H. Mead . فبنظر هذا العالم الاجتماعي ، عند حصول دافعٍ ما ، يمر الفعل الناجم عنه في ثلاثة أطوار : طور الإدراك الحسيّ perceptual ، طور المعالجة manipulatory ، وطور الاستهلاك أو الاستنفاد consummatory . فعلى الكائن العضوي أن يُدرك أولاً الخصائص المهمة للمحيط الذي يفعل فيه ، ومن ثم عليه أنَ يتصرف تجاه الاشياء بطريقة ملائمة لإشباع دوافعه ، وإذا ما تيسّر له ذلك يبلغ آخر طور من النشاط وهو طور استنفاد الفعل . وبما أن الفعل والموضوع هما متضايفان عند ميد ، يُضفي هذا أيضاً خصائص المسافة والمعالجة والاستهلاك على الموضوع ذاته.

إذا اعتُبِرت العلامات من منحى سلوكي ، كان بالإمكان ربط معانيها بأطوار الفعل الثلاثة ، وبالتالي إظهار ثلاثية من الأبعاد فيها . من المفترض أن تمتلك كل علامة هذه الأبعاد الثلاثة ، لكن في الواقع قد تتغلب فيها بعض الأبعاد على الأخرى ، بل قد تضعف بعض الأبعاد بحيث انها تصبح بحكم المعدومة.

استناداً إلى ما سبق ، تكون العلامة تبيينية بقدر ما تدل على خصائص المحيط أو الفاعل القابلة لأن تُدرَك بالحس ، وتكون تقديرية بقدر ما تدل على الخصائص الاستهلاكية للموضوع أو الحالة ، وأخيراً تكون طلبية بقدر ما تدل على كيفية ردة الفعل تجاه الموضوع أو الحالة ، بحيث يتم اشباع الدافع . بهذا المفهوم ، تكون بالدرجة الأولى كلمة « أسود » تبيينية ، و « حبّذا » استهلاكية ، و « ينبغي » طلبية . بالطبع ، يجب الاعتراف بأهمية السياق في تعيين ضروب المعنى . ففي سياق ما ، قد يغلب على كلمة « أسود » الطابع التقديري أو الطابع الطلبي ، وعلى عبارة « حبّذا » الطابع التبييني أو الطلبي ، وعلى لفظة « ينبغي » الطابع التبييني أو التقديري . إذ لا يمكن الجزم ، بمجرد ملاحظة اللفظة ، بغلبة ضرب من الضروب عليها . بل ذلك يتطلب استقصاء البحث في فعل مخصوص ضمن ظروف مخصوصة.

إلى جانب الضروب المذكورة التي تقوم على الفروق بين المعاني ، يمكن اعتبار التباين بين العلامات بالنسبة إلى التأثير الذي تحدثه في المعبِّرين . بهذا الشأن ، يميز مورس اربعة طرق استعمال للعلامات uses of signs هي : الاستعمال الإخباري informative ، والاستعمال التقييمي valuative ، والتحريضي أو التحضيضي incitive ، وأخيراً التنسيقي systemic . وفي الحقيقة ، قد تستعمل العلامات لإخبار فرد ما عن خصائص الأشياء والأحوال ، أو لإحداث ميل أو نفور فيه تجاه الاشياء والأحوال ، أو لحثّه على إجراء فعل ما ، أو لتنسيق التهيؤات السلوكية الناجمة فيه عن علامات أخرى .

وإن كانت ، بوجه العموم ، تُستعمل العلامات التبيينية للإخبار ، والعلامات التقديرية للتقييم ، والطلبية للتحريض ، والنَظْمية للتنسيق ، إلا أنه ليس بين ضروب المعاني وطرق الاستعمال من

تساوق ضروري. هذا ما حدا بموريس في كتاب «العلامـات واللغة والسلوك » إلى تصنيف شامل للأقوال ، معتمداً على مَزج ضروب المعاني بطرق الاستعمال ، كما يفصّل ذلك الجدول الآتي :

طرق الاستعمال / ضروب المعنى	إخباري	تقييمي	تحريضي	تنسيقي
تبييني	علمي	خيالي	شرائعي حقوقي	كوزمولوجي
تقديري	أسطوري	شِعري	خُلقي	نقدي
طَلَبي	تكنولوجي	سياسي	ديني	دِعاوي[1]
نظمي	منطقي رياضي	بلاغي	نَحَوي	ماورائي

ما يميز الابحاث السيميائية الراهنة ، كما يقول موريس ، هـو توسع اهتماماتها لتشمل كل اصناف العلامات والأقوال . فبعد أن كان شغل الفلاسفة في أوائل القرن العشرين يقتصر على تقصي أبعاد المعاني في مجال العلوم والرياضيات فحسب ، تزايد الاعتبار اليوم للمكانة التي تأخذها العلامات في طوري المعالجة والاستهلاك اللذين يمر بهمـا الفعل ؛ فـانصبت الجهود على دراسـة الطقوس والأساطير والاخلاق والعادات والشرائع والفنون والديانات الخ ...

****

(١) propagandistic أي ما هو للدعاية .

V

العلامة ونظرية الأفعال

١ ـ الفعل

ينطلق ترابانت من مفهوم أساسي هو مفهوم الفعل Handlung . فالفعل يتميز عن سائر الأحداث التي تجري في العالم ، بأن الانسان من حيث هو فاعل « يتبع غايات معينة يختارها هو لنفسه (خلافاً لما هو الحال عند الحيوانات العجم التي تُسيَّر من الطبيعة »[١] . هكذا مثلًا ، عند البناء والحياكة والتنزه وقيادة السيارة والتكلم والغناء والقتل والسرقة الخ ... ينجز الانسان أفعالًا تتوخى غايات متنوعة . انما هذا لا يعني ان كل ما يصدر عنه هو فعل ، فقد يخضع لأحداث طبيعية تُفرض عليه فرضاً كالنوم والتنفس والاحمرار والمرض والموت مثل كثير من الحيوانات .

لا شك بأن الفعل ، بالمعنى المذكور ، يغاير أيضاً السلوك غير القصدي الذي يمكن أن يصدر عن الانسان . فالفعل يصح طلب المسؤولية عنه . وأحياناً ما يلتزم صاحب الفعل ، تجاه القانون والعرف الأخلاقي ، بأن يقدم التعليلات التي تبرر فعله ، وإلا تعرض للعقوبة .

---

(١) Kamlah-Lorenzen, Logische Propädeutik, s. 53.

على غرار الاحداث الفردية التي ليست سوى عيِّنات للحدث المجرد ، ليست الافعال الفردية التي تجري سوى نماذج لنمط الفعل ، أو لما تسميه مدرسة إرلنغن Erlangen بإسكيمة الفعل Handlungsschemata . فقتل فلان لفلان في زمان ومكان مخصوصين هو عيّنة لإسكيمة الفعل :/ القتل / . وقيادتي اليوم للسيارة هي عينة لاسكيمة الفعل :/ قيادة السيارة / حيث الحاصرتان / ... / تشيران إلى الاسكيمة .

٢ ـ الفهم

إسكيمات الفعل هذه إما أن نكتسبها كعادات فعل Handlungsgewohnheit نستطيع إنجازها ، أو أننا على الأقل نتلقن ، بواسطة عملية التعلم ، تمييزها من حيث هي اسكيمات فعل ، ونستطيع بالتالي فهمها .

بالفهم Verstehen ، يعني ترابانت اسناد حدث حالي ، من حيث هو عيّنة من اسكيمة فعل ما ، أي من عمل انساني متجدد الوقوع وذي غاية معينة ، إلى اسكيمة الفعل هذه . هكذا مثلاً يتعلم الصبي فهم الحياكة : فهو يسأل جدته « ما الذي تفعلين ؟ » ، وإذ تجيبه الجدة « حياكة » ، يكون قد تعلم إسناد اسكيمة الفعل اللفظي « حياكة » إلى الحدث الذي يعاينه . لكن هذا لا يكفي لفهم الحياكة ، فلابد للصبي ان يتابع سؤاله عن غاية هذا الفعل بقوله « ماذا تبتغين بالحياكة » ، فعندما تجيبه الجدة « صُنع كنزة أو كلسات أو شرشف الخ ... » يكون عندها قد فهم معنى الحياكة .

وعلى العموم ، إن فهم الافعال Handlungen- Verstehen ، أو بالاختصار الفهم ، هو نمط خاص من الأفعال الانسانية ، يتم به التمييز بين الأحداث الانسانية التي تستهدف غاية ما ، عن غيرها من الاحداث . أما إدراك الأحداث وأمور الطبيعة التي تعوزها

الغائية ، فيخرج ، بنظر ترابانت ، عن الفهم ، ويختص عنده باسم التعرف Erkennen .

ان الحاجة إلى أفعال الفهم تنجم أساساً عن كون الناس يريدون تنظيم حياتهم كمجتمع . ففهم حدث ما على انه فعل يعني ربطه بالمقاصد والغايات التي يقوم عليها المجتمع الانساني .

٣ ـ الفعل الدلالي
Zeigehandlung

انطلاقاً من أن الفعل هو حدث ذو غاية ، وان الفهم هو فعل يتم به إسناد عيّنة من اسكيمة فعل ما إلى إسكيمة الفعل هذه ، يحدد ترابانت مجموعة خاصة من الأفعال غايتها إحداث الفهم في إنسان آخر ، أي إفهامه أمراً ما . هذه الأفعال يُطلَق عليها إسم « أفعال الإفهام » Verständigungshandlungen أو « الأفعال الدلالية » Zeigehandlungen أو « الأفعال السيميائية » Semiotische Handlungen أو بالاختصار اسم « العلامة » Zeichen[١] . من قبيل ذلك : التكلم ، الايماء ، التأشير الضوئي ، الدق على جرس الباب الخ ... . فالفعل الدلالي اذن هو فعل غايته جَعل الآخر يُسند عيّنة إلى اسكيمة الفعل .

بما أن الغاية من هذه الافعال هي الإفهام أو التفهيم ، فميزتها الأولى هي التوجه للآخرين لطلب المشاركة منهم، أي هي أفعال تعاونية kooperatif . وعلى وجه التحديد ، يقوم التعاون هنا في ان المتلقي يسنِد إلى الفعل الدلالي الحالي الصادر عن المرسِل اسكيمة فعل سبق للمتلقي اكتسابها بواسطة التعلم .

---

(١) انظر : المرجع ذاته ، ص ٥٧ .

كذلك ، من ميزات الافعال الدلالية انها تبلّغ شيئاً ما ، اي تُعلم عن شيء ما ، وبالتالي هي ذات معنى semantisch . فمثلاً صفارة الإنذار تشير إلى غارة ، ودق جرس الباب يعلن عن وجود قادم ما ، وهزة الرأس يميناً ويساراً تدل على النفي ، والتلفظ بالقول « سمير مريض » ينبيء عن أن سميراً مريض .

لا شك انه حتى يكون بالامكان فهم الأفعال الدلالية ، أي حتى يمكن ان تكون الافعال تعاونية وذات معنى ، لا بد أن يوجد جامع مشترك بين اصحاب الاتصال . هذا الجامع يتم اكتسابه بواسطة ما يطلق عليه ترابانت بوجه عام اسم « الاتفاق » Übereinkunft .

عادة ، يجري تمييز نوعين من الاتفاق : اتفاق صريح واعٍ نصطلح على تسميته بـ « التواضع » ، واتفاق شائع غير معروفٍ الأصول نسميه مع ترابانت « التقليد » أو « العرف » Tradition . فالتأشيرات الضوئية الخاصة بقيادة السيارة هي ، مثلاً ، علامات من النوع الأول، إذ تم التواضع عليها بشكل صريح من قِبل هيئة دولية معلومة ؛ وكذلك المفردات التي اصطلح عليها العلماء هي من هذا النوع . لكن معظم الألفاظ وكثير من الحركات ليست سوى علامات تقبّلها مجتمع ما بالعرف والتقليد . ففي المجتمع الثقافي العربي ، مثلاً ، لم تحصل دلالة « أب » و « أم » على مسمياتها بناءً على اتفاق صريح ، ولا كذلك دلالة حركات الرأس على النفي والايجاب.

بالاضافة الى ما سبق ، قد يختلف شمول واتساع الاتفاق ، ان من حيث عدد الأشخاص وإن من حيث زمان ومكان الاتصال . فقد يقتصر على شخصين ، كما في حال اتفاق رجل ما مع امرأته أنه عند حل ربطة عنقه في سهرة ما فهو يقصد الذهاب إلى البيت . وقد يحصل بين جماعة مخصوصة لزمن مؤقت ، مثلما هو واقع بالنسبة لكلمة سرٍ ما . وقد يعم مجتمع معين بجامع اللغة الواحدة ، بل قد

يشمل المجتمع الدولي بأسره كما هو حاصل بالنسبة للعلامات الشائعة في كل البلدان .

٤ ـ العلامات اللسانية

بوجه عام ، ليس من إشكال في تعيين وحدة الفعل الدلالي ، أي العلامة البسيطة ، بالنسبة للعلامات غير اللفظية . فالأمثلة /عَزْف النفير = «أُهجم»/ ، / دَقُّ الجرس = « إفتح الباب »/ ، / إعطاء الضوء الأيمن = « أنا أستدير إلى اليمين » / هي علامات بسيطة . لكن بالنسبة للألفاظ ، ثمة مشكلة عند البعض في تحديد وحدة الفعل الدلالي : فهل هي اللفظة المفردة أو الجملة أو النص . إن الاتصال اللفظي يتضمنَ عادة عدة ألفاظ بل عدة جُمل . صحيح أنه في بعض الحالات قد يقتصر الاتصال على ألفاظ مفردة كقولنا « نعم » و « لا » ، حال ذلك حال حركات الرأس للرفض والايجاب ، أو كإجابتنا على سؤال ما بكلمة . لكن تلك الألفاظ تفترض في الواقع كلمات أخرى محذوفة يتم بها القول .

إذا ما قابلنا بين الأفعال الدلالية غير اللفظية ومرادفاتها من الأفعال الدلالية اللفظية ، مثلاً بين دقّ الجرس وقولنا « إفتح الباب » ، نتحقق أن الأفعال اللفظية تتقبل الانقسام إلى علامات أصغر . فقولنا المذكور ينقسم إلى الكُليمات /إفتح/ و /الـ/ و /باب/ ، بينما لا يصح ذلك في دق الجرس.

عند تعلم الأفعال الدلالية اللفظية ، لا ننطلق من الجُمل أو النصوص ، بل من الألفاظ المفردة بواسطة عملية الحَمْل Prädikation . فبواسطة الحمل ، نتعلم اسناد ألفاظ مفردة أو محمولات إلى الموضوعات الخارجية . هكذا مثلاً نتعلم في سياق حاليٍّ معين أن نُسند المحمول /سيارة/ إلى الشيء الذي هو سيارة ، والمحمول /أحمر/ إلى اللون الأحمر ، والمحمول /يضرب/

إلى الحدث الذي هو الضرب . لذلك ، بالنسبة إلى الأفعال الدلالية اللفظية ، تُعتبر اللفظة المفردة أو المحمول الوحدةَ الدلالية أو العلامة البسيطة . هذا لا يعني بالطبع أنه عند تعلم لسان ما نكتفي بتعلم المحمولات ، بل نحتاج أيضاً إلى تلقن القواعد التي يتم بها تركيب الألفاظ بعضها مع بعض حتى نتوصل إلى بناء الجمل والنصوص.

بالاضافة إلى قابلية الجملة ، وبالتالي النص ، إلى الانقسام إلى ألفاظ مفردة أي إلى علامات بسيطة ، وهو ما يسمى في اللسانية الحديثة بالتقطيع الأول première articulation : هناك إمكانية تقطيع ثان dexième articulation لدالات هذه الألفاظ إلى وحدات أصغر هي الفونيمات . فمثلاً يعود تركيب كلمة / إفتح / إلى الفونيمات /ء/، /ـــ/، /ف/، /ت/، /ـَـ/، /ح/. هذا التقطيع المزدوج للغة اللفظية هو ما يميزها عن سائر انساق العلامات ، ويجعلها قادرة على التعبير عن كل المجالات . فمن العدد الضئيل من الفونيمات التي تستخدمها الألسن يمكن صياغة عدد كبير من الكلمات ، وبفضل قابلية تركيب الكلمات بعضها مع بعض لا تصعب صياغة أي تبليغ عن العالم .

٥ ـ العلامة والماركة

إن العلامة ، كما تم تحديدها هنا ، تختص بالأفعال ، وبالتالي بالأحداث الزمانية فقط . لكن الاستعمال الشائع لكلمة « علامة » لا يقتصر على ذلك ، بل إنه يُطلِق أيضاً هذه الكلمة على الأشياء الثابتة المتحققة بكليتها ، مثل إشارات السير ، أشرطة العسكر ، الأعلام والرايات ، النصوص الكتابية الخ ... فلتمييز هذه الأشياء عن الأفعال الدلالية ، يتبع ترابانت اقتراح مدرسة إرلنغن[1] بتسميتها

---

(١) أنظر : المرجع ذاته ، ص ٥٩ .

« ماركة » أو « دمغة » Marke.

لا شك أن غاية الماركات ، من حيث أنها تستدعي فهم الآخرين ، هي غاية الأفعال الدلالية نفسها ، لكن ، مع ذلك ، تختلف الماركات عن الأفعال الدلالية من جهتين : فمن جهة ، تتمتع الماركات بقوام دائم على غرار كثير من الأشياء كالمنازل والأشجار والسيارات ، فهي ليست أفعالاً وانما مصنوعات Werke أي أفعال مجمدة . ومن جهة ثانية ، تُجيز الماركات ، لكونها أشياء دائمة ، التراخي أي التباعد في الزمان بين فعل المُرسِل الذي يصنع الماركة وبين فهم المتلقي ، خلافاً للأفعال الدلالية ، التي تتطلب تعاوناً فورياً بين المرسل حين يُجري فعلَ الدلالة وبين المتلقي حين يقوم بفعل الفهم . فهكذا مثلاً ، عندما يتكلم شخص ما ، يجب على المستمع أن ينجز معه في الوقت عينه فعل الفهم ؛ أما عندما يكتب أحدُ رسالة ، يكون عادة الشخص الذي يتلقى الرسالة في مكان وزمان مختلفين عن مكان وزمان المرسل.

بالطبع ، إن في كون الماركات أشياءا ثابتة ومستقرة ما يتيح للأفعال الدلالية السيّالة إمكانية البقاء . فهكذا تحفظ الكتابة الكلام العابر ، وهكذا تستطيع نصب السير أن تحل بصورة مستديمة محل اشارات الشرطي . كذلك ، تسمح الماركات ، للخاصية المذكورة ، بالتخلص من عبء تكرار الأفعال الدلالية نفسها ، فمثلاً ، الآرمة التي تشير إلى منع المرور تُغني عن شرطي سير يكرر الحركات أو الكلمات الدالة على ذلك ، والشارة التي يحملها بعض الأشخاص تعفيهم من أن يعلنوا في كل مناسبة عن رتبتهم أو مركزهم .

٦ ـ تفريع المجال السيميائي

من الواضح أن التمييز بين الماركة والعلامة يتيح إدخال تقسيم أساسي على المجال السيميائي . فبموجب هذا التمييز يتم الفصل

بين أفعال دلالية تتطلب تعاوناً مباشراً ، وأفعال دلالية يكـون فيها التعاون غير مباشر ، وذلك بتوسط الماركة ذات القِوام الثابت بين صانعها وبين المتلقي الذي يفهمها . تنتمي إلى الصنف الأول معظم العلامات الصوتية كالتكلم ودق الجرس وقرع الطبل وعزف النفير ، وكذلك المرئيات المتحركة مثل الحركات البدنية والايماء ولغة البكم الصم الخ ... أما الأفعـال الدلاليـة غير المبـاشرة فـإنها تتـوسل الماركات التي تنتمي بشكل أساسي إلى المبصَرات مثل : الصور على أنواعها ، نصب السيـر ، الكتابـة ، شارات الـرتب ، نوطـات الموسيقى ، الأعلام والرايات الـخ ...؛ لكنها قـد تنتمي أيضاً إلى الملموسات كما هي حال كتابة العميان.

تجدر الملاحظة إلى أن التمييز المذكور لا يوقع حدوداً قاطعة بين القسيمين من المجال السيميائي ، بحيث أن كل قسيم يباين كلياً الآخر . فأحياناً ما تستعمل الماركات لفعل دلالي مباشر ، كما يحدث مثـلاً عند تتبـع الطلاب مبـاشرة مـا يخطه الأستـاذ على اللوح . وبـالعكس ، إذ يمكن حفظ الأفعال الـدلالية المبـاشـرة بـواسطـة المصنوعات الموافقة لها ، كما تقوم بذلك الكتابة بالنسبة للكلام ، وكما تقوم به التسجيلات من صور وأفلام وشرائط صوتية بالنسبة للحركات والاشارات والأصوات.

على ضوء هذا التمييز الثنائي ، يمتحن ترابانت تفريع المجال السيميائي من حيث مادية الدال . إن تقسيم الدالات الشائع ، وفقاً لأعضاء الحس ، إلى مسموعات ومرئيات وملموسـات ومشمومـات ومذوقات يُفيد ولا شك في معرفة صلاحيتها العملية . فهكذا مثلاً ، بينما العلامات البصرية لا يمكن إدراكها إلا في الضوء وفي وضع جسماني معين ، يتيح الكلام الاتصالَ بمعزل عن هذه القيود . لكن هـذا التقسيم بحسب أعضاء الحس يبقى ، بنظـر ترابـانت ، غير متجانس مع ترتيب العلامات من حيث هي أفعال . إذ أن الصنف

ذاته من المحسوسات قد يتوزع بين الأفعال الدلالية المباشرة والأفعال غير المباشرة . فالمبصرات قد تكون صوراً ثابتة وقد تكون حركة وإيماء . والملموسات قد تكون أفعالاً مباشرة ولكنها قد تدل بصورة غير مباشرة كما هي الحال في أبجدية العميان . وحتى المسموعات ، التي تُحسب على باب الأفعال المباشرة ، قد تأخذ أيضاً شكل الماركات ، كما هو حال الطنين الرتيب في السيارات الأميركية الذي يدل على أن حزام الوقاية لم يجرِ شده بعد .

لاشك أن ثمة ارتباطاً بين الفعل الدلالي ومادية الدال . إذ أن الذين يقومون بالفعل لابد لهم وأن يختاروا المادة الدلالية التي تلائم هدف الفعل . وعليه ، فالجانب المادي هو الذي يتحدد بالفعل وليس العكس .

٧ ـ جهات القصد الاتصالي

رأينا أن للفعل الدلالي غاية ذاتية هي استدعاء فهم المخاطب ، أي ابلاغه شيئاً ما . بالاضافة إلى ذلك ، لكل فعل دلالي غرض point خاص وراء هذا الابلاغ . مثلاً ، عند قول الأب إلى ابنه « اغلق النافذة » ، لا يستوفي الأب الغرض من قوله بمجرد فهم الابن كلامه، بل على هذا الأخير أن ينجز الفعل المطلوب. فالغرض من هذا الفعل الدلالي، أي القول الطلبي، هو تحقيق الفعل الموافق من قبل المطلوب منه . ثمة غرض مختلف يُقصد مثلاً من إبرام صيغة العقد ، فعندما يعلن البائع للمشتري « بعتك هذا العقار » ، لا شك انه بهذا القول لا يكتفي بإبلاغ المشتري ذلك ، بل لا بد له أن يتصرف على أن العقار لم يعد له .

هذه الأغراض المختلفة تعود إلى أفعال مختلفة يتم إجراؤها في القول . فجعل الابن يغلق النافذة هو غرض فعل الأمر ، والتنازل عن الملكية هو غرض فعل الاعلان أو التصريح . هذه الأفعال التي تُعرف

بـاسم الأفعال الـداخلة في القـول illocutionary act يطلق عليهـا ترابانت بوجه عام اسم « جهات القصد الاتصالي ».

ان مفهوم الأفعال الداخلة في القول هو من أهم مـوضـوعـات النظرية المعروفة بـ « نظرية الأفعال الكلاميـة »[1] . تعتمد هـذه النظرية على تمييز ثلاثة أنواع فرعية من الأفعال تجري ضمن كل فعل كلامي :

١ ـ فعـل التلفظ utterance act وهو النطق بكلمـات منظومـة بحسب القواعد.

٢ ـ الفعل القضوي propositional act ، الذي يوقع الدلالـة المرجعية والحمل.

٣ ـ الفعل الداخل في القول illocutionary act ، الذي يعبر عن نوعية الاتصال بين المتخاطبين.

فمثلاً ، عند قـولي « لعمرك سـوف آجيء » ، يتم الفعل القضـوي بحمل المجيء علي انا في المستقبل ، وأما الفعل الداخل في القول فهو الوعد بذلك.

من المهام التي تواجهها نظرية الأفعال الكلامية تصنيف هذه الأفعال وخصوصاً الداخلة في القول . فبالنسبة لـلأفعال الـداخلة في الأقوال ، وضع سورل Searle عدة معايير خولته لتمييز خمسة أصناف هي على التوالي :

١ ـ الاثباتيات assertives : وهي التي تحتمـل إحدى قيمتي الصدق والكذب . مثالها : أخبر ، أكد ، زعم ، شرح.

٢ ـ التوجيهيات directives: وهي الأفعال التي يكون الغرض منها أن يجعل المتكلمُ المخاطب يقوم بفعل ما . مثالها : طلب ، أمر ، ترجى ، سأل .

---

(١) أنظر مقالنا : نظرية الأفعال الكلامية . الموسوعة الفلسفية ، مجلد ٢ .

٣ ـ الوعديـات commissives : والغرض منهـا إلزام المتكلم بالقيام بعمل ما في المستقبل . مثالها : وعد ، قسم.

٤ ـ البَـوحيات expressives : وهي التي تعبـر عن الحـالـة النفسية للمتكلم . مثالها : شكر ، هنّأ ، اعتذر.

٥ ـ التصريحيات declaratives : وهي التي مجرد القيام بها يُحدث تغييراً في الخارج . منها : عمّد ، عيّن ، أوقع الحرم .

إزاء هـذا التصنيف الذي لا يـراعي تراتب الأفعـال ، يختار ترابانت ثلاث جهات هي : الخبر والطلب والسؤال ، معتبراً إيـاها الأفعال الأصلية التي تتفرع عنها سائر الجهات . فهكذا مثلاً يكون الوعد طلباً من الذات بإنجاز فعل ما ، والتشكك نوعاً من السؤال ، والاعتراض من قبيل الخبر الخ ... وما احتواء معظم اللغات ، من أجل تأدية الجهات الثلاثة المذكورة ، على وسائل صرفية ونحـوية خاصة بها (كصيغة المضـارع وصيغة الأمـر ، والنبر ، والقلب ، وأدوات الاستفهام) إلا دليل على ذلك . أما رد السؤال إلى الجهتين الباقيتين ، أي إلى طلب الخبر ، فهو على العموم غير ممكن . إذ أمر شخص ما بأن « قُل له ذلك » هو طلب الإخبـار ، لكن ليس اخبار المتكلم كما هو الحال في السؤال بل إخبار الغائب . لذلك يتـوقف ترابانت في تقسيمه للأفعال الداخلة في القول على الجهات الثلاثة المذكورة التي يختصرها بالصيغ الآتية :

١ ـ خبر : أقول لك : **ب**

٢ ـ طلب : أقول لك : افعل **فـا** !

٣ ـ سؤال : قُل لي : **ب** !

بالاضافة إلى تقسيم الأفعال الداخلة في القول ، يقترح ترابانت التصنيف التالي للأفعال القضوية ، أي لما يسميـه هو بمـدار أو موضوع Thema الأفعال الدلالية . انطلاقاً من أن الفعل الدلالي هو تفاهم حول العالم بين فاعل وفاهـم ، فموضوع التفاهم قد يكون إما

الفاعل نفسه أي المتكلم ، وإما الفاهم أي المخاطب ، وإما أمر ثالث لا يشارك في الفعل الدلالي وهو الغائب . هكذا مثلاً ، في معرض الإخبار ، يستطيع المتكلم أن يقول : « أنا غني » أو « أنت غني » أو « هو غني ، هي غنية » . هذا التفريع الثلاثي للفعل القضوي لا يمكن تطبيقه إلا على الخبر . أما الطلب فإنه لا يتقبل سوى موضوع واحد وهو بالتحديد المخاطب ، إذ اني لا أستطيع أن آمر نفسي بفعل ما . صحيح ان المتكلم ، فيما يسمى بالحوار الذاتي أي المونولوج ، يستطيع أن يتوجه بالطلب إلى نفسه كما عند قولي مثلاً « والآن يا عادل كفَّ عن التذمر ! » ، لكن في الواقع هذا الطلب يتوجه إلى المخاطب من حيث أني اتضاعف في اثنين : انا المتكلم وأنت المخاطب . كذلك لا يمكن اعتبار الوعد على انه طلب من الذات بإنجاز فعل ما ، إذ الوعد ليس سوى إخبار عني بأني اتخذت القرار بإنجاز الفعل المذكور . أما بخصوص السؤال فموضوعه أيضاً لا يمكن أن يكون بالتعريف سوى المخاطب . لكن ، بالطبع ، بما أن السؤال هو طلب الاخبار (قُل لي : **ب** !) ، فموضوع الخبر « **ب** » قد يحتمل الأشخاص الثلاثة ، أي المتكلم والمخاطب والغائب .

إلى جانب تفريع الأفعال الداخلة في القول من حيث المدار أو الموضوع ، يمكن تفريعها من حيثيات مختلفة ، مثلاً من حيث الحالة النفسية للمتكلم أو أيضاً من حيث العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب . فهكذا مثلاً قد يتدرج الخبر من الشك إلى الرأي إلى الاعتقاد إلى التأكيد ، وقد يراوح الطلب بين الأمر والتنبيه والنصح والدعاء الخ ...

ان ما أجرته نظرية الأفعال الكلامية من تقسيم وتفريع ، كان من مهمة السيمياء ان تتحقق منه في سائر الأفعال الدلالية ، وهذا ما يقوم به ترابانت . وبالفعل ، ان التقسيم المذكور ، إن من حيث الجهة أو من حيث الموضوع ، نجده في مجالات سيميائية متنوعة .

ففي مجال الحركة ، الربت على البطن بعد الطعام يعني اني التذذت بالأكل (خبر عن المتكلم) ، ووضع إصبع الإشارة على الصدغ تجاه شخص ، يدل على اني اعتبره معتوهاً (خبر عن المخاطب) ، والمسافة بين اليدين المتقابلتين تشير إلى حجم الشيء الذي اتكلم عنه (خبر عن الغائب) . أما السؤال فيؤدى عادة بالتطلع إلى المخاطب مع فتل اليد . وأما الطلب فكل إشارات شرطي السير هي من هذا النوع . كذلك تقوم الماركات بكل وظائف الأفعال الدلالية . فأرمات السير تعلن عن طلب أو عن خبر عن الغائب . فثمة أرمات تخبر عن اتجاه وبعد مدينة ما ، وثمة أرمات تأمر بالتوقف أو عدمه الخ .... ومن الماركات أيضاً ما يخبر عن المتكلم ، مثل شارات الرتب ، تاج الملك ، عصا الأعمى الخ ... .

٨ ـ الطقسيات والسحريات

بين الأفعال الكلامية تنفرد فئة خاصة بكونها تتطلب وجود مؤسسات اجتماعية كالدولة والدين والعائلة والصداقة الخ ... ، خلافاً لسائر الأفعال الكلامية التي هي أنماط عامة غير متعلقة بوجود مثل هذه المؤسسات . لذلك يطلق هابرماس Habermas على هذه الفئة اسم « الأفعال الكلامية المؤسَّسية » institutionelle Sprechakte . يقابل هذه الأفعال عند سورل كل التصريحيات وجزء من البوحيات . من قبيل ذلك أفعال إلقاء التحية والتعزية والتعميد والتعيين وإصدار الاحكام الخ ....

ان الافعال المؤسَّسية لا تنحصر فقط في الكلام ، بل تتحقق أيضاً في مجالات غير لفظية مثل : التقبيل ، الانحناء ، رفع القبعة ، كسر العصا ، الرش بالماء ، رفع اليد للقسم ، لمس الكتف بالسيف الخ ...

يقسم ترابانت هذه الأفعال إلى صنفين : صنف يُستعمل لإثبات

وتأييد العلاقات الاجتماعية القائمة في مؤسسة ما ، يُطلِق عليه اسم « الطقسيات » Ritualia ؛ وصنف يصلح لإضفاء خصائص اجتماعية معينة على الناس وعلى الأشياء ضمن مؤسسة ما ، يُطلق عليه اسم « السِحريات » Magica .

هـذان الصنفان لا يشكـلان ، بنظر تـرابانت ، افعـالاً دلالية بالمعنى الحصري . فالفعل الدلالي يمتاز عنده بثلاث خصـائص : فهو، بالاضافة إلى كونه تعاونياً Kooperativ وذا معنى Semantisch كما رأينا ، فعل إعلامي informativ أي مفيد لخبر جديد .

أما الطقسيات فهي ليست ذات معنى ، إذ ، بينما الغرض من الفعل الدلالي هو توصيل وإبلاغ أمر ما يعتقد الفاعـل انه جـديد بالنسبة للفاهم ، لا يمكن القول ان شخصاً ما بتقبيله لأحد الأصدقاء يريد ان يعني له بذلك انه صديقه ، لان الصداقة هي شرط مسبق لفعل التقبيل . وكذلك لا تفيد الطقسيات شيئاً غير معروف ، إذ ان وقوعها أمر مفروغ منه ضمن المؤسسة الاجتماعية. بل إن إبطال أو مخالفة الافعال الطقسية هو الفعل المفيد لحدث جديد. فإذا ما مررت مثلاً بصديقي ولم ألقِ التحية عليه أكون بذلك قد عنيت الكفَّ عن علاقتي به ، أو أيضاً إن حييته بالسجود اكون قد استهزأت به.

في الطقسيات ، تفتقد الافعال الكلامية المعنى وجهة القصد الاتصالي . فبسؤالنا « كيف حالك » مثلاً ، لا نطلب في الواقع خبراً عن الحالة الصحية أو النفسية لمن نستجوبه . والدليل على ذلك ان الجواب المتعارف عليه اي « الحمد للّه » هو بدوره كلمات طقسية غير مفيدة . كل ما في الامر اننا بتلفظنا بمثل هذه الجمل الشكلية نؤكد العلاقة القائمة ما بيننا .

أما السحريات فهي أيضاً خارجة عن الافعال الدلالية . فعندما يعيِّن مسؤول في الدولة شخصاً لوظيفة ما بقوله « عيّنتك كذا » ، لا يكون بذلك يتكلم عن الواقع ، بل يكون يضفي على الواقع خصائص

اجتماعية جديدة . وكذلك مثلاً ، عندما يردد المسلم لامرأته « طلقتك ثلاثاً » ، فهو بذلك لا يكون يصف حدثاً معيناً ، بل يوقع الحدث الذي هو الطلاق . كذلك تنتفي عن السحريات صفة التعاون ، إذ ليس من مقومات السحريات التوصيل إلى فهم الآخر . وأحياناً لا يكون الآخر انساناً ، كما عند الاحتفال بتسمية سفينة بالقول مثلاً « اني اعمدك باسم عروس البحر » .

بالطبع لممارسة السحريات ، لابد للفاعل ان يكون متمتعاً بصلاحية ضمن مؤسسة اجتماعية . فليس كل شخص هو مخول بالتعيين أو التزويج أو التسمية الخ ....

٩ ـ الإيصال الجمالي

بما أن الموضوعات الجمالية تشكل جزءاً كبيراً من مجال علم السيمياء ، كان لابد لترابنت أن يطرح السؤال حول علاقة الفن أي الإيصال الجمالي ästhetische Kommunikation بمفهوم الفعل الدلالي ، الذي انطلق منه لبناء نظريته السيميائية . والحال أنه قد سبق لمدرسة إرلنغن[١] Erlangen أن اشارت إلى الوجه الجامع بين الفن والفعل الدلالي وإلى الوجه الذي يتباينان فيه . فكلاهما يتفقان في كونهما يستدعيان فهم الآخر بشكل ما ؛ لكن الإيصال الجمالي يختلف عن الفعل الدلالي باختلاف محط انتباه الفاهم . فبينما ، في الفعل الدلالي ، يوجه الفاهم انتباهَه إلى ما يقوله الفاعل عن الواقع ؛ أي ، بقول آخر ، يوجه انتباهَه عِبر الفعل الدلالي إلى الواقع ، يوَجِّه الفاهم للفن انتباهَه إلى الفعل ذاته ، أي الى الطريقة التي يستدعي بها الفاعلُ انتباهَه . لذلك يستخلص ترابانت أن الأفعال الجمالية

(١) Kamlah, W., Lorenzen, P., Logische Propädeutik PP. 56-57.

هي ، كالأفعال الدلالية والطقسيات ، تعاونية . لكنها من حيث الغِنْى Semantizität أي الـدلالـة على مضمـون ، ومن حيث الإعـلام Informativität أي الإفادة لأمر جديد ، تختلف عن الأفعال الدلالية كما عن الطقسيات . فالأفعال الدلالية هي ذات مضمون وإفادة معاً ، من حيث أنها تُبلغ أمراً جديداً عن الواقع . أما الطقسيات فإنهـا تفتقر إلى مضمون ولا تفيد شيئاً ، إذ أنها لا تُبلغ عن الواقع وليست هي بـالحدث الجـديد . وأمـا الأفعال الجمـالية فهي ، على غـرار الطقسيات ، لا تتوخى معنى ما ، أي أنها لا تقصد تبليغ شيء ما عن الواقع ، بل هدفها جذب انتباه الفاهم إلى الفعل نفسه . بالطبع لا يمنع ذلك أن يكون للمصنوعات Oeuvre Werk الفنية وظيفة التبليغ عن الواقع ، انمـا هذه الـوظيفة تبقى ثـانويـة ، فوظيفتهـا الأولية Primäre هي كيفية الدلالة وليست الدلالة . من جانب آخر ، تتشابه الأفعال الجمالية مع الأفعال الدلالية من حيث أنها ذات إفادة إعلامية إذ أنها تمثل أحداثاً جديدة . ولكن الجديد في الأفعال الجمالية ليس ما تعنيه من مضمون بل كيفية كيانها .

إذن ، فـالأفعال الجمـالية لا تهـدف بـالـدرجـة الأولى الى استحضار أو تمثيل الواقع ، كما هو الحال مع الأفعال الدلالية ؛ ولا تتوخى كذلك توثيق العلاقات الاجتماعية ، مثلما تفعل الطقسيات . بل إن غايتها استحداث أو إبداع واقع ما ، تعرضه على الفاهم من حيث هو موضوع فهم . وبهذا المعنى يتميّز الواقـع الجمالي عن واقـع الطبيعة الذي لم يقصد الخالق بخلقه فهمَ الناس لهذا الواقع ؛ إلا إذا أخذنا بوجهة النظر التي ترى أن العـالم إنما صـدر عن فنان عظيم .

من حيث ابداع واقع ما ، تقارب الأفعال الجمالية السحريات ، إذ أن غـاية الفعـل السحري أن يضفي على واقـع ما خصـائص

ووظائف اجتماعية جديدة ، أي أن يُبدِع على المستوى الاجتماعي واقعاً جديداً . مع ذلك ، تبقى الأفعال الجمالية ، خلافاً للسحريات ، أقرب للانتاج المادي المصنوع من الانسان : فهي تعالج مواداً طبيعية كالحجر والمعدن واللون ، وأيضاً مواداً تم تشكيلها وفقاً لمعايير وقواعد اجتماعية كحركات الناس ولغاتهم . لكن هذه المعالجة للواقع لا تستهدف اشباع الحاجات المعيشية ، مثلما هو الحال مع صناعة الثياب أو الأغذية أو الأدوات المنزلية ، بل غرضها الوحيد إنتاج واقع انساني هو بحد ذاته موضوع للفهم .

****

المصادر والمراجع

فاخوري ، عادل ، علم الدلالة عند العرب ، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٨٥ .

فاخوري ، عادل ، نظرية الأفعال الكلامية ، الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد ، II ، ١٩٨٩ ، بيروت .

Austin, J.L., How to do things with words, London-Oxford-New York, 1962.

Barthes, R., Eléments de sémiologie, Communication 4, 1964.

Barthes, R, Système de la mode, Paris, 1967.

Bense, M., Semiotik. allgemeine Theorie der Zeichen, Baden-Baden, 1967.

Bense, M. - Walther, E., Wörterbuch der Semiotik, Köln, 1973.

Bentele, G., Bystrina, I., Semiotik, Stuttgart, 1978.

Buyssens, E., Les langages et le discours, Bruxelles, 1973.

Carnap, R., Meaning and Necessity, Chicago, University of Chicago Press, 1947.

Eco, U., La struttura assente, Milano, 1968.

Eco, U., A Theory of Semiotics, Bloomington- London, 1976.

Eco, U., and Sebeok, T.A. (eds), Bloomington; Indiana University Press, 1983.

Greimas, A.J., Sémantique structurale, Larousse, Paris, 1966.

Greimas, A.J., Du sens, Le Seuil, Paris, 1970.

Grice, H.P., «Logic and conversation», in; P. Cole and J.L. Morgan (eds.) 1975; 41-58.

Grice, H.P., «Meaning»Philosophical Review,66, p.377-388.

Guiraud, P., La sémiologie, PUF., «que sais-je?», Paris, 1970.

Habermas, J., «Vorbereitende Bemerkungen Zu einer Theorie der Kommunikativen Kompetenz», in: J. Habermas - N. Luhman, Theorie der Gesellschaft oder Sozialtechnologie, Frankfurt, 1971.

Hervey, S., Semiotic Perspectives, London, 1982.

Hjelmslev, L., Prolégomènes à une théorie du langage, Ed. de Minuit, Paris, 1968.

Kamlah, W.- Lorenzen, P., Logische Propädeutik, oder Vorschule des vernünftigen Redens, Mannheim 1967.

Klaus, G Semiotik und Erkenntnistheorie, Berlin, 1963.

Kristeva, J., Semeiotiké, Recherches pour une sémanalyse, Paris, 1969.

Martinet, J., Clefs pour la sémiologie, Seghers, Paris, 1973.

Mead, G.H., The Philosophy of the Act, Chicago-London 1972.

Morris, Ch. W., Foundations of the Theory of Signs, Chicago, 1938.

Morris, Ch. W., Signs, Language, and Behavior, Englewood, Cliffs, 1946.

Morris, Ch. W., Signification and Significance, Cambridge, Massachusetts, 1964.

Mounin, G., Introduction à la sémiologie, Ed. de Minuit, Paris, 1970.

Ogden, G.K.- Richards, I.A., The Meaning of Meaning, London 1952.

Peirce, C.S., Collected Papers, Harvard University Press, Vol. I-IV 1931-1935, Vol. VII and VIII, 1958.
Peirce, C.S. , Letters to Lady Welby, New Haven/Conn., Whitlock's, 1953.
Peirce, C.S. , Die Festigung dir Überzeugung und andere Schriften, Badenn-Baen, 1967.
Prieto, L.J., Messages et signaux, PUF, Paris, 1966.
Prieto, L.J., Pertinence et pratique, Ed. de Minuit, Paris, 1975.
Resnikow, L.O., Erkenntnistheoretische Fragen der Semiotik, Berlin (DDR) 1968.
Saussure, F. de, Cours de linguistique générale, Paris, 1962.
Schaff, A., Einführung in die Semantik, Reinbek, 1973.
Sebeok, T.A., Contributions to the Doctrine of Signs, Bloomington, 1976.
Sebeok, J.U., Marketing and Semiotics, Mouton de Gruyter, Berlin. New York. Amsterdam, 1987
Searle, J.R., Speech Acts, Cambridge, 1969.
Searle, J.R., Expression and Meaning, Cambridge, 1979.
Trabant, J., Elemente der Semiotik, München, 1976.
Walther, E., Allgemeine Zeichenlehre, Stuttgart, 1979.

٩٠/٣٠٠٠/١١١٥